مختارات من خطب
د/ سعيد بن علي بن وهف

تأليف

محمد سيد

الرفق وفضله

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، وسَلّم تسليماً كثيراً، أَمّا بعد:

عباد الله! اتقوا الله تعالى كما أمركم بذلك، فقال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾.

عباد الله! اعلموا أن الرفق من الأخلاق العظيمة، التي عَمِلَ بها النبي ﷺ وحَثَّ عليها ورَغّب فيها.

* فعن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال لها: «**إنه من أُعطي حظه من الرفق فقد أُعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار**»[1].

فقد عظّم النبي ﷺ شأن الرفق في الأمور كلها، وبيّن ذلك بفعله وقوله بياناً شافياً كافياً؛ لكي تعمل أمّتهُ بالرفق في أمورها كلها، وخاصة الدعاة إلى الله – عز وجل –؛ فإنهم أولى الناس بالرفق في دعوتهم، وفي جميع تصرفاتهم، وأحوالهم. وهذا الحديث السابق وغيره من الأحاديث التي ستأتي تُبيّن فضل الرفق، والحث على التخلق به، وبغيره من الأخلاق الحسنة، وذم العنف وذم من تخلق به.

فالرفق سبب لكل خير؛ لأنه يحصل به من الأغراض ويسهل من المطالب، ومن الثواب ما لا يحصل بغيره، وما لا يأتي من ضده[2].

* وقد حذر النبي ﷺ من العنف، وعن التشديد على أمته ﷺ، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقّ عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به**»[3]، وكان ﷺ إذا أرسل أحداً من أصحابه في بعض أموره أمرهم بالتيسير ونهاهم عن التنفير، فعن أبي موسى – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أموره قال: «**بشِّرُوا ولا تُنفِّرُوا، ويسِّرُوا ولا تُعسِّرُوا**»[4].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله -عز وجل- بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق**»[5].

وقال ﷺ لأبي موسى الأشعري ومعاذ – رضي الله عنهما – حينما بعثهما إلى اليمن: «**يسَّرا ولا تعسِّرا،**

---

(١) أخرجه أحمد ٦/ ١٥٩، وإسناده صحيح؛ انظر الأحاديث الصحيحة للألباني برقم ٥١٩.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٤٥، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠/ ٤٤٩، وتحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي ٦/ ١٥٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم ٣/ ١٤٥٨، برقم ١٨٢٨.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٨، برقم ١٧٣٢.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٧١، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: حديث صحيح من رواية عائشة رضي الله عنها ٣/ ٢١٩ برقم ١٢١٩.

وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوَعَا ولا تختلِفَا»[1].

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**يسِّرُوا ولا تعسِّرُوا، وبشِّرُوا ولا تنفِّرُوا**»[2].

في هذه الأحاديث الأمر بالتيسير والنهي عن التنفير، وقد جمع النبي ﷺ في هذه الألفاظ بين الشيء وضده؛ لأن الإنسان قد يفعل التيسير في وقت والتعسير في وقت، ويُبشّر في وقت ويُنفّر في وقت آخر فلو اقتصر على يسروا لصدق ذلك على من يسَّر مرة أو مرات، وعسَّر في معظم الحالات، فإذا قال ولا تُعسِّرُوا انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه وهذا هو المطلوب. وكذا يقال في يسّرا ولا تُعسرا، وبشّرا ولا تُنفّرا، وتطاوعا ولا تختلفا؛ لأنهما قد يتطاوعان في وقت ويختلفان في وقت وقد يتطاوعان في شيء ويختلفان في شيء، والنبي ﷺ قد حث في هذه الأحاديث وفي غيرها على التبشير بفضل الله وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه، وسعة رحمته، ونهى عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير، وهذا فيه تأليف لمن قَرُبَ إسلامه وتَرْكُ التّشديد عليه، وكذلك من قَارَبَ البلوغ من الصبيان، ومن بلغ، ومن تاب من المعاصي كلهم ينبغي أن يتدرج معهم ويُتلطّف بهم في أنواع الطاعات قليلاً قليلاً، وقد كانت أمور الإسلام في التّكليف على التّدريج فمتى يُسِّرَ على الداخل في الطاعة، أو المُريد للدخول فيها سَهُلَتْ عليه وكانت عاقبته غالباً الازدياد منها، ومتى عُسِّرت عليه أوْشَكَ أن لا يدخل فيها، وإن دخل أوشك أن لا يدوم ولا يستحليها[3]. وهكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتخوّل أصحابه بالموعظة في الأيام كراهة السَّآمة عليهم[4].

فصلوات الله وسلامه عليه فقد دل أمته على كل خير وحذرهم من كل شر، ودعا على من شق على أمته، ودعا لمن رفق بهم كما تقدم في حديث عائشة وهذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس، وأعظم الحث على الرفق بهم[5].

* وكان ﷺ رفيقاً يحب الرِّفق ويعمل به. ومن الأمثلة العظيمة التي تُبيّن فضل الرفق وعُلوّ منزلته ما ثبت عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتىً شاباً أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا لـه: مه مه! فقال لـه: «**ادنه**»، فدنا منه قريباً، قال: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**». قال: «**أفتحبه لابنتك؟**» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**». قال: «**أفتحبه لأختك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**». قال: «**أفتحبه لعمتك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**». قال: «**أفتحبه لخالتك؟**» قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال:

---

(١) البخاري مع الفتح في كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ٨/ ٦٢، برقم ٤٣٤٤، و٢٣٤٥، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٩، واللفظ له، برقم ١٧٣٣.

(٢) البخاري مع الفتح في كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١/ ١٦٣، برقم ٦٩، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٩، برقم ١٧٣٢.

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم ١٢/ ٤١، وفتح الباري ١/ ١٦٣.

(٤) انظر: فتح الباري ١/ ١٦٢، ١٦٣.

(٥) انظر: شرح النووي على مسلم ١٢/ ٢١٣.

«**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**». قال: فوضع يده عليه، وقال: «**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه**»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

وهذا الموقف العظيم مما يؤكد على الدعاة إلى الله – عز وجل – أن يعتنوا بالرفق والإحسان إلى الناس، ولاسيما من يُرغَبُ في استئلافهم ليدخلوا في الإسلام، أو ليزيد إيمانهم ويثبتوا على إسلامهم.

وكما يبين لنا الرسول ﷺ الرّفق بفعله بينه لنا بقوله وأمرنا بالرفق في الأمر كله.

* ومما يدل على عظم الرفق وعلوّ منزلته ما ثبت عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السّامُ عليكم. قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السّامُ واللعنة. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**مهلاً يا عائشة إن الله يُحبّ الرفق في الأمر كله**»، فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «**قد قلت وعليكم**»[2].

وقال ﷺ: «**يا عائشة إن الله رفيق يُحب الرفق، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العُنْف، وما لا يُعطي على ما سواه**»[3].

وقال ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنْزع من شيء إلا شانه**»[4].

وبين ﷺ أن من حُرِمَ الرفق فقد حُرِمَ الخير، قال ﷺ: «**من يُحرم الرفق يُحرم الخير**»[5].

وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**من أُعطيَ حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير**»[6]، وعنه – رضي الله عنه – يبلغ به قال: «**من أُعطي حظّه من الرفق أُعطي حظّه من الخير، وليس شيء أثقل في الميزان من الخُلُق الحسن**»[7].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند من حديث أبي أمامة ﷺ ٥/ ٢٥٦، ٢٥٧، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وعزاه إلى الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح ١/ ١٢٩، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، برقم ٣٧٠ ج١.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله ١٠/ ٤٤٩، برقم ٦٠٢٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، عن عائشة رضي الله عنها ٤/ ٢٠٠٤، برقم ٢٥٩٣.

(٤) المرجع السابق، في الكتاب والباب المشار إليهما سابقاً ٤/ ٢٠٠٤، عن عائشة رضي الله عنها أيضاً، برقم ٢٥٩٤.

(٥) المرجع السابق، في الكتاب والباب المشار إليهما سابقاً عن جرير بن عبد الله ﷺ ٤/ ٢٠٠٣، برقم ٢٥٩٢.

(٦) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الرفق ٤/ ٣٦٧، برقم ٢٠١٣، وقال حديث حسن صحيح، وانظر: صحيح الترمذي ٢/ ١٩٥.

(٧) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٥١، انظر: الأحاديث الصحيحة للألباني رقم ٨٧٦، فقد ذكر له شواهد كثيرة.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

عباد الله! اتقوا الله تعالى، واعلموا أن من أعطي حظه من الرفق واللين فقد أعطي حظه من خيري الدنيا والآخرة، ومن حُرِمَ الرفق فقد حُرم حظه من الخير، نعوذ بالله تعالى من ذلك، ويجب على العبد المسلم أن يقتدي بالنبي ﷺ في رفقه ولينه، لقول الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾.

هذا وصلوا على خير خلق الله نبينا محمد بن عبد الله كما أمركم الله تعالى بذلك فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[1]، وقال النبي ﷺ: «**مَن صلّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً**»[2]، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وارضَ اللهم عن أصحابه: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعَنّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، اللهم آمِنّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا، وجميع ولاة أمر المسلمين. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. اللهم اغفر لأمواتنا وأموات المسلمين، وأعذهم من عذاب القبر وعذاب النار، برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نسألك الهدى والتُّقى، والعفاف والغنى، اللهم اهدنا وسددنا، ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾[3]، عباد الله! ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[4]، فاذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿ **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾[5].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.
(٢) مسلم، برقم ٣٨٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٢.
(٤) سورة النحل: الآية: ٩٠.
(٥) سورة العنكبوت: الآية: ٤٥.

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

دع ما يريبك إلى ما لا يريبك

إن الحمد لله، نحمد، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا عباد الله، اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الله تعالى أحلَّ البيع وحرَّم الربا، وما فيه ضرر للعباد في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾[1].

ومن علامات الساعة ظهور الزنا والربا، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم أنه قال: «**بين يدي الساعة يظهر الربا، والزنا، والخمر**»[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «**ليأتين على الناس زمانٌ لا يبالي المرءُ بما أخذ المال، أمِنْ حلالٍ أم من حرام**»[3]، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: «**الحلال بين والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشكُ أن يقع فيه، ألا وإن لكل مَلِكٍ حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغةً، إذا صَلَحتْ صَلَحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب**»، وفي لفظ للبخاري: «**والمعاصي حمى الله، من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه**»[4]، والشبهات هي الأمور التي لا يتضح حكمها لكثير من الناس، فهي مشكلة يشبه بعضها بعضاً[5].

وعن الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما، قال: حفظت من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «**دع ما يُريبك إلى ما لا يَريبك، فإن الصدق طُمأنينة، وإن الكذب ريبة**»[6]، فالمسلم الورع يضطرب قلبُهُ عند

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦ .

(٢) الطبراني في الأوسط برقم ٧٦٩٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٤/ ١١٨: (ورجاله رجال الصحيح).

(٣) البخاري، برقم ١٩٧٧ .

(٤) البخاري برقم ٥٢، ورقم ٢٠٥١، ومسلم، برقم ١٥٩٩ .

(٥) لسان العرب ٢/ ٢٦٦، والعيني في عمدة القاري، ٢/ ٢٩٧ .

(٦) أحمد، ١/ ٢٠٠، والترمذي برقم ٢٥١٨، والنسائي، ٨/ ٣٢٧، وهو حديث حسن صحيح.

الأمور المحرمة، ويسكن للحلال، ويدعُ الصغيرة مخافة الكبيرة[1].

ولاشك أن الله تعالى ما ترك حلالاً إلا بينه، ولا حراماً إلا بيَّنه عن طريق رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم، لكن بعضه يشتبه على كثير من الناس، أما العلماء الراسخون في العلم فلا يخفى عليهم؛ لما أعطاهم الله من العلم والحكمة. وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «**البرُّ حُسنُ الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس**»[2]، وعن وابصة بن مَعبدٍ قال: أتيت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال: «**جئت تسأل عن البرِّ والإثم؟**»، قلت: نعم، قال: «**استفتِ قَلْبَكَ، البرُّ ما اطمأنت إليه النفسُ واطمأنَّ إليه القلبُ، والإثم ما حاك في النفسِ وتردَّد في الصدر، وإن أفتاك الناسُ وأفتوكَ**»[3]، والبرُّ يشمل جميع الطاعات، والدين كلُّه خلق حسن، وقد فطر الله تعالى عباده على معرفة الحق والسكون إليه، والنفور عن الباطل، والحق والباطل لا يلتبس أمرهما على المؤمن، بل يعرف الحق بالنور الذي عليه، وينفر عن الباطل فينكره ولا يعرفه، ومن هذا المعنى قول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: «**سيكون في آخر الزمان قومٌ يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيَّاكم وإيَّاهم**»[4]، يعني أنهم يأتون بما تستنكره قلوب المؤمنين ولا تعرفه، وفيه إشارةٌ إلى أن ما استقرت معرفته عند المؤمنين مع تقادم العهد وتطاول الزمان فهو الحق، وأن ما أحدث بعد ذلك مما يستنكره المؤمنون فلا خير فيه[5]؛ ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (ما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسنٌ، وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيح)[6]. وقوله: «**وإن أفتاك الناس وأفتوك**» يعني: أن ما حاك في صدر الإنسان فهو إثم، وإن أفتاك غيرُك بأنه ليس بإثم، فهذه مرتبة ثانية، وهو أن يكون الشيء مستنكراً عند فاعله دون غيره، وقد جعله أيضاً إثماً، وهذا إنما يكون إذا كان صاحبه ممن شرح الله صدره بالإيمان، وكان المفتي يُفتي له بمجرد ظنٍّ وميلٍ إلى هوى من غير دليل شرعي، فأما ما كان مع المفتي به دليل شرعي فالواجب على المستفتي الرجوع إليه وإن لم ينشرح له صدره، وقد كان النبي صلَّى الله عليه وسلَّم يأمر أصحابه بما لا تنشرح به صدورُ بعضِهم في أول الأمر، فيمتنعون من فعله فيغضب لذلك، ثم يشرح الله صدورهم لذلك. وفي الجملة فما ورد به الدليل الشرعي فليس للمؤمن إلا طاعةُ الله ورسوله[7]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[8].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ١/ ٢٧٩ .

(٢) مسلم، برقم ٢٥٥٣ .

(٣) أحمد، ٤/ ٢٢٨، وحسنه النووي في الأربعين.

(٤) مسلم برقم ٦ .

(٥) جامع العلوم والحكم، ٢/ ١٠٠ .

(٦) أحمد، ١/ ٣٧٩، والبغوي في شرح السنة، برقم١٥٥، وسنده وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ٣/ ٧٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١/ ١٧٧: (رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثوقون).

(٧) جامع العلوم والحكم، ٢/ ١٠٢ .

(٨) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦ .

وما حصل من التأثر بخسارة الأسهم التي تكالب عليها الناس، وباع بعضهم أملاكه ودخل بقيمتها فيها إلا لعدم الالتزام بهذه الضوابط المذكورة آنفاً، وكذا باستفتائهم أهل الرخص؛ ولهذا قال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالماً اتخذ الناسُ رُؤوساً جُهَّالاً فَسئِلوا فأفتوا بغير علمٍ فَضلُّوا وأضلُّوا**»[1].

وكان أهل الإيمان والتقوى يبتعدون عن الشبهات والحرام؛ ولهذا رُوي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه عندما تبين له أن مولاه كان يطعمه من كسبٍ حرامٍ، وسأله من أين هذا الطعام فأخبره أنه كان يتكهن وهو لا يحسن الكهانة في الجاهلية فأعطوه، فقال أبو بكر: إن كدت أن تهلكني، فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ حتى أخرج ما في بطنه، فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟ قال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: «**كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به**»، فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة[2].

وثبت في الحديث أن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال لكعب: «**يا كعب بن عجرة، إنه لا يربوا لحمٌ نبت من سحتٍ إلا كانت النار أولى به**»[3]، وفي لفظ: «**يا كعب بن عجرة، لا يدخل الجنة من نبت لحمه من سحت، النار أولى به**»[4].

وإن الناظر بعين البصيرة إلى واقع المسلمين في العالم اليوم يجد لهفهم الشديد إلى كل ما تطرحه البنوك أو الشركات من أسهم ومعاملات، فالكثير يتعامل ويساهم بدون استفتاء أهل العلم المعتبرين، والقليل يستفتي ولكن ممن التبس عليه الحلال بالحرام من طلبة العلم، بل يقصد بعضهم فلاناً المتتبع للرخص: أي المتتبع لأهون أقوال العلماء في مسائل الخلاف، وما علم المسكين أن هذا دينٌ، فلينظر المسلم ممن يأخذ دينه، ومن يجعله بينه وبين ربه تعالى، قال بعض السلف: (إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[5].

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروا إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) البخاري، برقم ١٠٠، ومسلم برقم ٢٦٧٣ .

(٢) أبو نعيم في الحلية، ١/ ٣١ .

(٣) أحمد برقم ١٤٤٨١، والترمذي برقم ٦١٤، وحسنه الحافظ ابن حجر، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ٣٣٦ .

(٤) أحمد ٣/ ٣٩٩ .

(٥) آل عمران، الآيات: ٥-٧ .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمي، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين أما بعد:

عباد الله، اتقوا الله تعالى، واعلموا أن من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ويجب على المسلم أن يسأل أهل العلم فيما يشكل عليه، ولا يسأل من لا علم عنده؛ ولهذا ذكر ابن القيم رحمه الله: أن ربيعة رحمه الله وُجِدَ يبكي، فسئل عن سبب بكائه، فقال: « استُفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم، وَلَبَعْضُ من يُفتي ههنا أحقُّ بالسجن من السُّرَّاق »[1].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « **لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيمَ فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه** »[2]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: « يوشك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء، أقول قال رسول الله ﷺ، وتقولون قال أبو بكر وعمر »[3]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لزيادٍ: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قال: قلت: لا، قال: يهدمه زلةُ العالم، وجدالُ المنافق بالكتاب، وحكمُ الأئمة المضلين »[4]. وقال سليمان التيمي رحمه الله: « لو أخذت برخصة كلِّ عالمٍ أو زلة كلِّ عالمٍ اجتمع فيك الشرُّ كلُّه »[5]. وفي الحديث القدسي: « **يا عبادي كلكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدِكُمْ** »[6]. وقد كان النبي ﷺ يستفتح صلاته إذا قام من الليل بـ « **اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السموات والأرض، عالِمَ الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اخْتُلِفَ فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم** »[7].

فيا عباد الله اتقوا الله، وابتعدوا عن الشبهات، واسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، هذا وصلوا على خير خلق الله نبينا محمد بن عبدالله، كما أمركم الله بذلك فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ

---

(١) الفوائد لابن القيم (٣/ ٢٧٧)..

(٢) الترمذي، برقم ٢٤١٧..

(٣) احتج به ابن القيم في إعلام الموقعين، (٢/ ٢٣٨)، ومعناه ثابت عند أحمد (٥/ ٤٨).

(٤) الدارمي، برقم ٢٢٠، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٩٦)، وابن عبدالبر في جامع العلم وفضله، (٢/ ١١٠).

(٥) أبو نعيم في الحلية، (٣/ ٣٢)، وذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان، (١/ ٢٣٠).

(٦) مسلم، برقم ٢٥٧٧.

(٧) مسلم برقم ٧٧٠.

عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[1]. وقال النبي ﷺ: «**من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً**»[2]. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وارضَ اللهم عن أصحابه: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعنَّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشِّرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، اللهم آمنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وجميع ولاة أمر المسلمين، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللهم اغفر لأمواتنا وأموات ا لمسلمين، وأعِذْهُمْ من عذاب القبر وعذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسألك الهدى، والتقى، والعفاف والغنى، اللهم اهدنا، وسدِّدنا ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[3].

عباد الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[4]. فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) مسلم برقم ٣٨٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٢.

(٤) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

وجوب محبة النبي ﷺ ونصرته وحكم من سبه[1]

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، كما وعد في كتابه، وهو الصادق الذي لا يخلف الميعاد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل المرسلين وأكرم العباد، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كُلِّه ولو كره أهلُ الشرك والعِنَاد، ورفع له ذكره ولا يُذكر إلا ذُكِرَ معه كما في الأذان، والتشهدِ، والخُطبِ، والمجامعِ والأعيادِ، وكَبَتَ مُحادّه، وأهلكَ مُشاقّهُ وكفاه المستهزئين به ذوي الأحقاد، وبَتَر شانئهُ ولعن مُؤذيه في الدنيا والآخرة، وجعل هوانه بالمرصاد أما بعد:

فيا عباد الله اتقوا الله تعالى حق التقوى، واعلموا أن الله تعالى هدانا بنبيه محمد ﷺ، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور، وآتانا ببركة رسالته خير الدنيا والآخرة، وأجوب الله علينا حبَّهُ، وتعزيره، ونصره بكل طريق، وإيثارهُ بالنفسِ والمال في كل موطن، وحفظه وحمايته من كل مؤذٍ، وإن كان الله قد أغنى رسوله عن نصر الخلق، ولكن ليبلوَ بعضكم ببعض وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب.

عباد الله: إن محبة الله لا تحصل للعبد إلا باتباع النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[2]. وقال النبي الكريم ﷺ: « **ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار** »[3]. وقال ﷺ: « **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه: من أهله، وماله، والناس أجمعين** ». وفي لفظ: « **من ولده، ووالده، والناس أجمعين** »[4]. وعن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « **ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً** »[5].

ومحبة الله ورسوله فرض بل أفرض الفروض، وتقديمها على محبة كل شيء، قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ**

---

(١) ألقيت في ٢٧/ ١١/ ١٤٢٦هـ عندما نال بعض الدانمركيين من الحبيب ﷺ.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٣) البخاري برقم ٢١، ومسلم برقم ٤٣ من حديث النبي ﷺ.

(٤) البخاري برقم ١٥، ومسلم برقم ٤٤ عن أنس رضي الله عنه.

(٥) مسلم، برقم ٣٤.

إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1]. وهذا يدل على وجوب محبة الله ورسوله وتقديمها على محبة كل شيء، ويدل على الوعيد الشديد والمقت الأكيد على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله، وجهاد في سبيله، وعلامة ذلك أنه إذا عُرِضَ عليه أمران: أحدهما يحبه الله ورسوله وليس لنفسه فيه هوى، والآخر تحبه نفسُهُ وتشتهيه ولكنه يفوِّت عليه محبوباً لله ورسوله أو ينقصه؛ فإنه إن قدَّم ما تهواه نفسه على ما يحبه اللهُ ورسولُهُ دلَّ ذلك على أنه ظالم تاركٌ لما يجب عليه[2].

وما أحسن ما قاله القائل:

تعصي الإله وأنت تُظهرُ حُبَّهُ ... هذا لعمري في القياس بديعُ

لو كان حُبُّك صادقاً لأطعتَه ... إن المحبَّ لمن يُحِبُّ مُطيعُ[3]

وقال الإمام ابن القيم في نويته:

شرطُ المحبةِ أن توافِقَ مَنْ تحبَّ ... على محبَّته بلا عصيان

فإذا ادَّعيتَ له المحبةَ مع خلافِكَ ... ما يُحِبُّ فأنت ذو بُهتانِ

أتحبُّ أعداء الحبيب وتدَّعي ... حُبّاً له ما ذاك في إمكان

وكذا تُعادي جَاهداً أَحبَابَهُ ... أين المحبَّةُ يا أخا الشيطانِ[4]

ولما قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، لأنت أحبَّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك**» فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبَّ إليَّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»[5] أي الآن عرفتَ فنطقت بما يجب[6].

وهذا الحب لا يكون بالدعوى بل بالصدق، والمحبة تثمر طاعة الله ورسوله، والبعد عما نهى الله عنه ورسوله ﷺ.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٢) تفسير السعدي (ص ٣٣٢).

(٣) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٥٧١ – ٥٨٢).

(٤) شرح النونية للهراس (٢/ ١٣٤).

(٥) البخاري برقم (٦٦٣٢).

(٦) فتح الباري (١١/ ٥٢٨).

ولا شك أن العبد إذا أحب الله ورسوله، فإنه يحبُّ ما يحبه اللهُ ورسولُه؛ لأن من أحبَّ أحداً أحب من يحبه؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومَنَعَ لله، فقد استكمل الإيمان**»(١).

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن من ثواب محبته الاجتماع معه في الجنة، فقد سأله رجلٌ عن الساعة؟ فقال: «**ما أعددتَّ لها؟**» قال: يا رسول الله: ما أعددتُ لها كبير صيام، ولا صلاة، ولا صدقة، ولكني أحبُّ الله ورسوله، قال: «**فأنت مع من أحببت**»(٢). قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشدُّ من قول النبي ﷺ: «**أنت مع من أحببت**» فأنا أحبُّ الله ورسوله، وأبا بكر، وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم(٣). وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: كيف تقول في رجل أحبَّ قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال: «**المرء مع من أحب**»(٤). ومعنى «ولم يلحق بهم» أي في الأعمال، والآية في سورة آل عمران: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**﴾(٥). يقال لها آية المحنة، امتحن الله بها العباد، فعلامة المحبة لله تعالى اتباع الرسول ﷺ والابتعاد عما نهى عنه، وفي الآية والأحاديث السابقة الدلالة على أن المرء مع من أحبَّ: فمن أحب النبي ﷺ والمؤمنين فهو معهم، ومن أحب الكفار فهو معهم.

ومن صِدْقِ المحبة له ﷺ: نُصرته، وتعزيره، وتوقيره، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ**﴾(٦). وقال تعالى: ﴿**فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾(٧).

ومعنى ﴿**وَتُعَزِّرُوهُ**﴾ ذكر ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما «تعظموه» وقال البغوي ﴿**وَتُعَزِّرُوهُ**﴾ تعينوه وتنصروه. ﴿**وَتُوَقِّرُوهُ**﴾ من التوقير وهو الاحترام(٨). وقد لعن الله تعالى من آذاه وآذى رسوله ﷺ فقال: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾(٩). وقال تعالى: ﴿**أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا**﴾(١٠).

---

(١) أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٨٨٦).

(٢) البخاري برقم (٦١٧)، ومسلم برقم (٢٦٣٩).

(٣) مسلم برقم (١٦٣) (٢٦٣٩).

(٤) البخاري برقم (٦١٧٠).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٦) سورة الفتح، الآيتان: ٨، ٩.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٨) ابن كثير (ص ١٢٣٣) والبغوي المختصر (٢/ ٨٧٢).

(٩) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

(١٠) سورة النساء، الآية: ٥٢.

ولا شك أن من استهزأ بالنبي ﷺ يستحق لعنة الله تعالى، وقد لعنه، ﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾.

فإذا كان مسلماً قبل سبّه ارتدَّ ولا تقبل توبته عندنا ولو تاب؛ لقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[1]. ويجب قتله بدون استتابة على القول الصحيح.

أما إذا كان السابُّ ذميًّا أو معاهداً فإنه ينتقضُ عهدهُ ويقتل ولا يجوز المنُّ عليه ولا مفاداته بل يقتل على كل حال. وإذا تاب السابُّ فالصواب أنه يقتل ولو كان أصله مسلماً فلا تقبل توبته عندنا، أما عند الله فهذا إليه سبحانه.

وقد ضَمَّن ذلك شيخ الإسلام في كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ» قال رحمه الله: «وقد رتبته على أربع مسائل:

المسألة الأولى: أن السابَّ يقتل: سواء كان مسلماً أو كافراً.

المسألة الثانية: في أنه يتعين قتله وإن كان ذميًّا فلا يجوز المنُّ عليه ولا مفاداته.

المسألة الثالثة: في حكمه إذا تاب، وكذا لو أسلم الكافر بعد السبِّ.

المسألة الرابعة: في بيان السبّ وما ليس بسبٍّ والفرق بينه وبين الكفر. وقد أجاد وأفاد رحمه الله تعالى.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٥، ٦٦.

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ١٥٦ – ١٥٨.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين، أما بعد:

عباد الله، لقد أرسل الله هذا النبي الكريم رحمة للعالمين كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١). وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين، ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(٢). فلا نبي بعده عليه الصلاة والسلام، وهو الداعي لكل خير، المحذر من كل شر لجميع الجن والإنس، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾(٣).

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾(٤).

وهو عليه الصلاة والسلام منةٌ من الله تعالى على المؤمنين خاصة، ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾(٥). وقد عصمه الله تعالى وتكفل بحمايته فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(٦).

وكفاه الله تعالى المستهزئين فقال: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٩٦ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾(٧).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآيات: ٤٥ – ٤٨.

(٤) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٧) سورة الحجر، الآيات: ٩٤ – ٩٩.

فيا عبدالله المؤمن كن من الطائعين المتبعين لهذا النبي الكريم ولا تُعِن الكافرين بل أبغضهم لله رب العالمين ولا تتشبه بهم؛ فإن «**من تشبه بقوم فهو منهم**»، وانصر نبيك محمداً ﷺ باتباعه، ومحبته، ومقاطعة المشركين، والله تعالى ناصر نبيه ومُعلي كلمته ولو كره المشركون، ولو كره الكافرون، ولو كره المنافقون، ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴾[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة: يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار**»[2].

فدعوته ﷺ عامة للإنس والجن إلى قيام الساعة، ومن آذاه وسبه فقد تولى الله عقابه في الدنيا والآخرة. ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا** ﴾[3]. وقال: ﴿ **أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا** ﴾[4].

فمن شتم رسول الله ﷺ أونال منه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وقد أحسن حسانُ بن ثابت رضي الله عنه حين قال لمن سب النبي ﷺ:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذلك الجزاءُ

فإن أبي ووالدتي وعرضي لعرضِ محمدٍ منكم وِقاءُ

فيا عبدالله أطع نبيك واتبعه ولا تطع الكافرين والمنافقين. اللهم صلِّ وسلم على نبيك وحبيبك وخليلك وخيرتِكَ من خلقك نبينا وقدوتنا محمد بن عبدالله، وارضَ اللهم عن أصحابه: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين والمستهزئين، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يردُّ عن القوم المجرمين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، واغفر لأمواتنا وأموات المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[5]. فاذكروا الله تعالى يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿ **وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٢) رواه مسلم ١٥٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٢.

(٥) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

النبيُّ الكريم ﷺ رحمة للعالمين

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، وسَلّم تسليماً كثيراً، أَمّا بعد:

عباد الله اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الله عز وجل أرسل محمداً ﷺ رحمة للعالمين، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، فالمؤمنون به ﷺ قبلوا هذه الرحمة، وشكروها، وغيرهم كفرها، وبدَّلوا نعمة الله كفراً، وأبوا رحمة الله ونعمته[2].

* ومما يدل على أن رحمة النبي ﷺ عامة للعالم؛ حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! ادعُ على المشركين، قال: «**إني لم أُبعث لَعَّاناً وإنما بُعِثْتُ رحمةً**»[3].

وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ**»[4].

وقد قال ﷺ: «**أنا محمد، وأحمد، والمُقَفِّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة**»[5].

وقد شملت رحمته ﷺ الأعداء حتى في قتالهم ومجاهدتهم؛ فإن قوة الجهاد في سبيل الله تعالى في شريعته ﷺ لها ضوابط ينبغي أن يلتزم بها المجاهدون في سبيل الله – تعالى – ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[6]، فيدخل في ذلك ارتكاب المناهي: من المثلة، والغلول، وقتل النساء، والصبيان، والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال، والرُّهبان، والمرضى، والعُمي، وأصحاب الصّوامع؛ لكن من قاتل من هؤلاء أو استعان الكفّار برأيه قتل[7].

ويدخل في ذلك قتل الحيوان لغير مصلحة، وتحريق الأشجار، وإفساد الزّروع والثّمار، والمياه، وتلويث الآبار، وهدم البيوت[8]، وقد «**وُجدت امرأةٌ مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان**»[9]؛ ولهذا كان ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أوسريّة أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «**اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تُمثّلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوّك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأيتُهنَّ ما أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم...**»[10]، ثم بيّنها ﷺ: الإسلام، أو بذل الجزية، فإن امتنعوا عن ذلك كله استعان بالله وقاتلهم[11].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، للسعدي، ص٥٣٢ .

(٣) مسلم، برقم ٢٥٩٩ .

(٤) رواه ابن سعد، ١/ ١٩٢، وابن أبي شيبة ١١/ ٥٠٤، والحاكم، ١/ ٣٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة بطرقه، برقم ٤٩٠ .

(٥) مسلم، برقم ٢٣٥٥ .

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٩٠ .

(٧) انظر: المغني لابن قدامة ١٣/ ١٧٥-١٧٩.

(٨) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٧ وعناصر القوة في الإسلام ص٢١٢.

(٩) البخاري برقم ٣٠١٤، ورقم ٣٠١٥ .

(١٠) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ٣/ ١٣٥٧ (رقم ١٧٣١).

(١١) انظر المرجع السابق ٣/ ١٣٥٧، وزاد المعاد ٣/ ١٠٠.

* وكان النبي ﷺ يوفي بالعهد، ولا يغدر؛ لقول الله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[1].

ولهذا قال سليم بن عامر: كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى عهدهم غزاهم، فجاء رجل على فرس أو بِرْذَونٍ وهو يقول: الله أكبر، وفاء لا غدر. فنظروا فإذا عمرو بن عبسة، فأرسل إليه معاوية – رضي الله عنه – فسأله، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كان بينه وبين قوم عهدٌ فلا يشدُّ عقدة ولا يحلها حتى ينقضيَ أمَدُها أو ينبذ إليهم على سواء**» فرجع معاوية[2]. وهذا كلُّه يدلُّ على أن الهدف والمراد من الجهاد هو إعلاء كلمة الله عزَّ وجل.

* ومن الأمثلة العظيمة على هذه الرحمة التي شملت حتى أعدائه ﷺ قصّته مع مَلَك الجبال حينما بعثه الله إليه؛ ليأمره بما شاء عندما آذاه المشركون، فجاء ملك الجبال وسلَّم عليه وقال: (يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربِّي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت[3]؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين) [والأخشبان جبلان عظيمان في مكة، تقع مكة بينهما]، فقال رسول الله ﷺ لملك الجبال: «**بل أرجوا أن يخرج اللهُ من أصلابهم من يعبُد الله وحده لا يُشرك به شيئاً**»[4].

* ومن الأمثلة العظيمة لرحمته ﷺ حديث أنس رضي الله عنه قال: (كان غلام يهوديٌّ يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: «**أسلم**» فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال: له أطع أبا القاسم، فأسلم، [وفي رواية النسائي فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله]، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**» [وفي رواية أبي داود: أنقذه بي من النار][5]. وغير ذلك كثير.

* وكان ﷺ رحيماً بالمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[6]، فقد بعث الله تعالى النبي ﷺ للناس كافة، وهو من أنفس المؤمنين خاصة، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، وهو في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم، ويشق عليه الأمر الذي يشق عليهم، ويحب لهم الخير، ويسعى جاهداً في إيصاله إليهم، ويحرص على هدايتهم إلى الإيمان، ويكره لهم الشر، وهو شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم؛ ولهذا كان حقُّهُ مُقدّماً على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره وتوقيره[7].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٥٨.

(٢) أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه ٣/ ٨٣ (رقم ٢٧٥٩)، وانظر: صحيح سنن أبي داود ٢/ ٥٢٨، والترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في الغدر (رقم ١٥٨٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) استفهام، أي فمرني بما شئت، انظر: فتح الباري، ٦/ ٣١٦ .

(٤) البخاري برقم ٣٢٣١، ومسلم برقم ١٧٩٥ .

(٥) البخاري، برقم ١٣٥٦، ورقم ٥٦٥٧، وانظر: فتح الباري، ٣/ ٢١٩ .

(٦) سورة التوبة، الآية: ١٢٨ .

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص٣٥٧ .

وقال الله عز وجل: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾[1]، أقرب مال للإنسان نفسه، فالرسول أولى به من نفسه؛ لأنه ﷺ بذل لهم النصح والشفقة والرأفة؛ فلذلك وجب على العبد إذا تعارض مراد نفسه مع مراد الرسول ﷺ أن يُقدّم مُراد الرسول ﷺ، وأن لا يُعارض قول الرسول ﷺ بقول أحد من الناس، كائناً من كان، وأن يُقدّم محبّته على محبّة الناس كلهم[2].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾[3].

* ورحمته ﷺ للناس جميعاً: فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لا يَرحَم الناس لا يَرحَمُه الله عز وجل**»[4]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «**لا تُنزعُ الرحمة إلاّ من شقي**»[5].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء، الرَّحِمُ شُجنةٌ من الرحمن، فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله**»[6].

* ومن رحمته ﷺ رحمتهُ للصبيان: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء شيخٌ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يُوسِّعوا له فقال النبي ﷺ: «**ليس مِنَّا من لم يرحم صغيرنا، ويوقِّرُ كبيرنا**»[7].

* ورحمتهُ ﷺ للبنات: فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يكون لأحد ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو بنتان، أو أختان فيتقي الله فيهنَّ ويحسن إليهنَّ إلا دخل الجنة**»[8].

* ورحمتهُ ﷺ للأيتام: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة**» وأشار مالك أحد رواة الحديث بالسبابة والوسطى[9]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له: «**امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين**»[10].

* ورحمتهُ ﷺ للمرأة والضعيف: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم إنِّي أُحَرِّج**[11] **حقّ الضعيفين: اليتيم والمرأة**»[12]. وعن عامر بن الأحوص رضي الله عنه أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، وذَكّر ووعظ ثم قال: «**استوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهنَّ عندكم عوانٍ، ليس تملكون منهنّ شيئاً غير ذلك**»[13].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٦٥٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) مسلم، برقم ٢٣١٩.

(٥) الترمذي، برقم ١٩٢٣، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/ ٣٥٠.

(٦) الترمذي، برقم ١٩٢٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/ ٣٥٠.

(٧) الترمذي، برقم ١٩١٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/ ٣٤٨.

(٨) أبو داود، برقم ٥١٤٧، والترمذي برقم ١٩١٢ و١٩١٦، وقال عنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢/ ٤٢٩: (صحيح لغيره).

(٩) مسلم، برقم ٢٩٨٣، والبخاري من حديث سهل بن سعد برقم ٦٠٥.

(١٠) أحمد، ١٤/ ٥٥٨، برقم ٩٠١٨، وقال الإمام المنذري في الترغيب والترهيب، ٣/ ٣٢٣: ((رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح)) وحسّنه، الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٦٧٦. وقد ضعّفه أصحاب الموسوعة الحديثية في تحقيق مسند الإمام أحمد ١٣/ ٢١، برقم ٧٥٧٦، ولفظه: ((إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم)) وفي ١٤/ ٥٥٨، برقم ٩٠١٨، بلفظ ما في متن هذا البحث.

(١١) أحرّج: أي أضيقه وأحرمه على من ظلمها. النهاية في غريب الحديث، ١/ ٣٦١.

(١٢) ابن ماجه برقم ٣٦٧٨، وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٢٩٨.

(١٣) ابن ماجه، برقم ١٨٥١، وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ١٢٠، ورواه الترمذي أيضاً والنسائي، وانظر: إرواء الغليل، برقم ١٩٩٧.

* ورحمتهُ ﷺ للأرملة والمسكين : فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ : «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار**»، ولفظ مسلم: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكالقائم لا يفتر، والصائم لا يفطر**»(١). وعن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ الذّكر، ويُقِلُّ اللّغْوَ، ويُطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين يقضي له الحاجة(٢).

* ورحمته ﷺ لطلاب العلم والشفقة عليهم: فعن أبي سعيد ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**سيأتيكم أقوامٌ يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا: مرحباً مرحباً بوصية رسول الله ﷺ ، وأقنوهم**» قلت للحكم: ما أقنوهم؟ قال: علّموهم(٣).

* ورحمته ﷺ للأسرى : فعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**فُكُّوا العاني -يعني الأسير- وأطعموا الجائع، وعُودوا المريض**»(٤)، وهذا الحديث فيه رحمة النبي ﷺ للأسرى المسلمين، والأمر بفَكِّهم، والأمر بإطعام الجائع، وعيادة المريض.

* ورحمته ﷺ للمرضى والشفقة عليهم: فعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع**» قيل: يا رسول الله! وما خرفة الجنة؟ قال: «**جناها**»(٥). وعن علي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم يعودُ مسلماً غدوة إلا صلَّى عليه سبعون ألف ملكٍ حتى يُمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يُصبح، وكان له خريفٌ في الجنة**»(٦). وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**مَن عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلاّ عافاه الله من ذلك المرض**»(٧).

* ورحمتهُ ﷺ للحيوان، والطير، والدواب: فعن أبي هريرة أن رجلاً وجد كلباً يأكل الثرى من العطش، فسقاه فغفر الله له، قالوا: يا رسول الله! وإنَّ لنا في البهائم أجراً؟ قال: «**في كُلِّ كبدٍ رطبة أجر**» وفي لفظ للبخاري: «**فشكر الله له فأدخله الجنة**»(٨). وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه مرَّ بصبيانٍ من قريش قد نصبوا طيراً أو دجاجةً يترامونها، وقد جعلوا لصاحب الطير كلَّ خاطئةٍ من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرَّقوا فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا؛ إن رسول الله ﷺ : «**لعن من اتخذ شيئاً فيه الروحُ غرضاً**»(٩)(١٠). وعن ابن مسعود ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، فانطلق لحاجته

---

(١) البخاري، برقم ٥٣٥٣، ٦٠٦، ٦٠٧ ، ومسلم، برقم ٢٩٨٢ .

(٢) النسائي، برقم ١٤١٥، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ٤٥٦ .

(٣) الترمذي، برقم ٢٦٥٠، ٢٦٥١، وابن ماجه برقم ٢٤٧، وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجه ١/ ٩٨ .

(٤) البخاري، برقم ٣٠٤٦ .

(٥) مسلم، برقم ٢٥٦٨ .

(٦) الترمذي، برقم ٩٦٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ٤٩٧ .

(٧) أبو داود، برقم ٣١٠٦، والترمذي برقم ٢٠٨٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٣١٦٠ .

(٨) البخاري، برقم ١٧٣، ٢٤٦٦، ومسلم، برقم ٢٢٤٤ .

(٩) الغرض: بفتح الغين المعجمة والراء: هو ما ينصبه الرماة يقصدون إصابته من قرطاس ونحوه. [الترغيب والترهيب للمنذري، ٣/ ١٥٣].

(١٠) البخاري، برقم ٥٥١٥، ومسلم، برقم ١٩٥٨ .

فرأينا حُمَّرةً[1] معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمَّرةُ فجعلت تَفرش [أي تُرَفرِفُ بجناحيها وتقرب من الأرض] فجاء النبي ﷺ فقال: «**من فَجعَ هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها إليها**» ورأى قرية نملٍ[2] قد حرَّقناها فقال: «**مَن حرَّق هذه؟**» قلنا: نحن، قال: «**إنه لا ينبغي أن يُعَذِّب بالنار إلا ربُّ النار**»[3]. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مَرَّ على حمارٍ قد وُسِمَ في وجهِهِ فقال: «**لعن الله الذي وسمه**»[4] [الوسم الكي بحديدة]. وعنه ﷺ: نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجهِ، وعن الوسم في الوجه[5]. وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، وفيه: فدخل رسول الله ﷺ حائطاً لرجلٍ من الأنصار فإذا جملٌ فلمَّا رأى النبيَّ ﷺ حَنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه[6] فسكت، فقال: «**من ربُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟**» فجاء فتىً من الأنصارِ فقال: لي يا رسول الله، فقال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمةِ التي ملَّكَكَ الله إيَّاها؛ فإنه شكا إليَّ أنَّك تُجيعه وتُدئبُهُ**»[7]. [8]

* ومما يدل على رحمته العظيمة رقة قلبه ﷺ وبُكاؤه في مواطن كثيرة: ولم يكن النبي ﷺ يبكي بشهيقٍ ورفع صوتٍ، كما لم يكن ضحكه قهقهة، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تَهمُلا ويُسْمَعُ لصدره أزيز، وكان بكاؤه تارة رحمة للميت، وتارة خوفاً على أمته وشفقة عليها، وتارة من خشية الله تعالى، وتارة عند سماع القرآن وهو بكاء اشتياقٍ ومحبةٍ وإجلالٍ[9]. [10]

* ومن رحمته ﷺ تلطفه ﷺ بالأطفال وإدخال السرور عليهم: فعن محمود بن الرُّبيع ﷺ قال: (عَقلتُ من النبي ﷺ مَجَّةً مجَّها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلوٍ)[11]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن ابن عليٍّ وعنده الأقرع بن حابسٍ التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «**من لا يَرْحم لا يُرحم**»[12].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[13] بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه من كل ذنب إنه هو ال

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيماً

---

(١) حُمَّرةٌ: بضم الحاء وتشديد الميم، وقد خُفِّف: طائر صغير، كالعصفور أحمر اللون. [النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ١/ ٤٣٩].

(٢) قرية نملٍ: موضع النمل مع النمل.

(٣) أبو داود، برقم ٢٦٧٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/ ١٤٦.

(٤) مسلم، برقم ٢١١٧ .

(٥) مسلم، برقم ٢١١٦ .

(٦) ذفراه: ذفرا البعير بكسر الذال المعجمة مقصور: هي الموضع الذي يعرق في قفا البعير عند أذنه، وهما ذفران. [الترغيب والترهيب للمنذري، ٣/ ١٥٧].

(٧) تُدْئِبُهُ: بضم التاء ودال مهملة ساكنة، بعدها همزة مكسورة، وباء موحدة: أي تتعبه بكثرة العمل. [الترغيب والترهيب للمنذري، ٣/ ١٥٧].

(٨) أحمد، ١/ ٢٠٥، وأبو داود، برقم ٢٥٤٩، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢/ ١١٠.

(٩) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ١/ ١٨٣ .

(١٠) انظر: رحمة للعالمين للمؤلف ص٨٣-٩٣ فقد ذكرت فيها ستة عشر موضعاً بكى فيها النبي ﷺ .

(١١) البخاري، برقم ٧٧، ومسلم، ١/ ٤٥٦، برقم ٢٦٥ – (٣٣).

(١٢) البخاري، برقم ٥٩٩٧.

(١٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨ .

لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

عباد الله! اتقوا الله تعالى، واقتدوا بنبيكم الكريم الرحيم، فإن الله تعالى أرسله رحمة للعالمين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1].

عباد الله! إن العبد المسلم مأمور بالاقتداء بهذا الرسول الرحيم ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2]، هذا وصلوا على الرحمة المهداة كما أمركم الله تعالى بذلك فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[3]، وقال النبي ﷺ: «مَن صلّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً»[4]، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وارضَ اللهم عن أصحابه: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعَنّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، اللهم آمِنّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا، وجميع ولاة أمر المسلمين. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. اللهم اغفر لأمواتنا وأموات المسلمين، وأعذهم من عذاب القبر وعذاب النار، برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نسألك الهدى والتُّقى، والعفاف والغنى، اللهم اهدنا وسددنا، ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[5]، عباد الله! ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[6]، فاذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[7].

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧ .
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١ .
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦ .
(٤) مسلم، برقم ٣٨٤ .
(٥) سورة البقرة، الآية : ٢٠٢ .
(٦) سورة النحل : الآية : ٩٠ .
(٧) سورة العنكبوت: الآية : ٤٥.

صفات النبيِّ ﷺ الْـخَلْقِيّة والْـخُلُقيّة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، وسَلّم تسليماً كثيراً، أَمّا بعد:

عباد الله اتقوا الله تعالى، واعلموا أنه يجب على كل مسلم ومسلمة معرفة النبي ﷺ التي هي من الأصول الثلاثة، التي يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمها، والعمل بها، ويُسأل عنها في قبره. ومن هذه المعرفة معرفة صفاته الْخَلْقِيّة والْخُلُقيّة.

فقد كان النبي ﷺ أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً، وألينهم كفّاً، وأطيبهم ريحاً، وأكملهم عقلاً، وأحسنهم عشرة، وأعلمهم بالله وأشدهم له خشية[1]، وأشجع الناس، وأكرم الناس، وأحسنهم قضاء، وأسمحهم معاملة، وأكثرهم اجتهاداً في طاعة ربه، وأصبرهم وأقواهم تحمّلاً، وأخشعهم لله قلباً، وأرحمهم بعباد الله تعالى، وأشدهم حياء، ولا ينتقم لنفسه، ولا يغضب لها؛ ولكنه إذا انتُهِكت حرمات الله، فإنه ينتقم لله تعالى، وإذا غضب لله لم يقم لغضبه أحد، والقوي والضعيف، والقريب والبعيد، والشريف وغيره عنده في الحق سواء، وما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله، وإن لم يشتهه تركه، ويأكل من الطعام المباح ما تيسر ولا يتكلف في ذلك، ويقبل الهدية ويكافئ عليها، ولا يقبل الصدقة، ويخصف نعليه ويرقع ثوبه، ويخدم في مهنة أهله، ويحلِبُ شاته، ويخدِمُ نفسه، وكان أشد الناس تواضعاً، ويجيب الداعي: من غني أو فقير، أو دنيء أو شريف، وكان يحب المساكين ويشهد جنائزهم ويعود مرضاهم، ولا يحقر فقيراً لفقره، ولا يهاب مَلِكاً لِـمُلْكِهِ، وكان يركب الفرس، والبعير، والحمار، والبغلة، ويردف خلفه، ولا يدع أحداً يمشي خلفه[2]. وخاتمه فضة وفصه منه، يلبسه في خنصره الأيمن وربما لبسه في الأيسر، وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع، وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الأرض، ولكنه اختار الآخرة.

وكان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن[3]، ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق[4]، ولا بالأدم[5]، ولا بالجعد القطط[6]، ولا بالسَّبط[7] ﷺ [8]، وكان ضخم القدمين حسن الوجه[9]، أبيض مليح الوجه[1]، وكان

---

(١) ولهذا قال عبد الله بن الشِّخِّير: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المِرجل من البكاء، أبو داود برقم ٩٠٤، وصححه الألباني في مختصر الشمائل برقم ٢٧٦، ومعنى: أزير المرجل: أي غليان القدر.

(٢) أحمد ٣/ ٣٩٨، وابن ماجه برقم ٢٤٦، والحاكم ٤/ ٤٨١، وابن حبان موارد ٢٠٩٩ ، وانظر: الأحاديث الصحيحة برقم ١٥٥٧.

(٣) البائن: أي ليس بالطويل الطول الظاهر.

(٤) الأمهق: أي ليس بالأبيض شديد البياض، وإنما أبيض مشرب بالحمرة.

(٥) الأدم: الأسمر.

(٦) القطط: الشعر فيه التواء وانقباض.

(٧) السبط: الشعر المسترسل.

(٨) مختصر شمائل، الترمذي برقم ١، وصححه الألباني. وهو في البخاري برقم ٣٥٤٩.

(٩) البخاري، برقم ٥٩٠٨.

رجلاً مربوعاً بعيد ما بين المنكبين، عظيم شعر الجُمَّة إلى شحمتي أذنيه، وفي وقت إلى منكبيه، وفي وقوتٍ إلى نصف أذنيه، كث اللحية، شثن الكفين والقدمين[٢]، ضخم الرأس، ضخم الكراديس[٣]، طويل المَسْربة[٤]، إذ مشى تكفّأ تكفؤاً كأنما ينحط من صببٍ[٥]، لم يُرَ قبله ولا بعده مثله، وكان عظيم الفم، طويل شِق العين، قليل لحم العقب، منظره أحسن من منظر القمر، وجهه مثل القمر، وخاتم النبوة بين كتفيه: غدّة حمراء مثل بيضة الحمامة، وقيل: الخاتم شعرات مجتمعات بين كتفيه، وكان يفرق رأسه، ويدَّهن، ويعفي لحيته ولا يأخذ منها شيئاً، ويُسرّحها، ويأمر بتوفيرها وإيفائها، وإعفائها، وكان يأمر بالاكتحال بالإثمد عند النوم، ويقول: «**عليكم بالإثمد عند النوم؛ فإنه يجلو البصر ـ ويُنبت الشعر**»[٦]. وقال: «**إن خير أكحالكم الإثمد، يجلو البصر، ويُنبت الشعر**»[٧]، وكان قليل الشَّيب في رأسه وفي لحيته إذا ادَّهن لم يُرَ شيبه، وإذا لم يدَّهن رُؤي منه شيء، كان شيبه نحواً من عشرين شيبة بيضاء، وكان يقول: «**شيَّبتني هود وأخواتها**»، وفي لفظ: «**شيّبتني: هود، والواقعة، والمرسلات، وعمَّ يتساءلون، وإذا الشمس كُوِّرت**»[٨]، وشَيْبُهُ أحمر مخضوباً، وكان يُحبّ لبس القميص، والحِبَرَة[٩]، وكان يلبس العمامة، والإزار، وإزاره إلى نصف ساقه[١٠]، وكان يحب الطيب، ويقول: «**طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه**»[١١].

وكان ﷺ يتجمَّلُ للعيد، والوفود، ويُحِبّ النظافة، وكان يكره أن يقوم له أحد؛ فلا يقوم له الصحابة؛ لعلمهم بكراهته لذلك[١٢]، وكان يُحِبّ السّواك، ويبدأ به إذا دخل بيته، ويشوص فاه بالسواك إذا قام من الليل، وكان ينام أول الليل ثم يقوم يصلي، وكان يطيل صلاة الليل حتى تنتفخ قدماه، ثم يُوتِرُ آخر الليل قبل الفجر، وكان يُحِبّ أن يسمع القرآن من غيره، وكان يعود المرضى، ويشهد الجنائز ويصلي عليهم، وكان كثير الحياء، وكان إذا كره شيئاً عُرِف في وجهه، وكان يُحِبّ الستر، وكان يتوكل على الله حقَّ توكُّلِهِ؛ لأنه سيد المتوكّلين، قال أنس رضي الله عنه : خَدَمْتُ النبي ﷺ عشر سنين فما بعثني في حاجةٍ لم أُتِمَّها إلا قال: «**لو قُضِيَ لكان**» أو «**لو قُدِّر لكان**»[١٣]، ومع هذا فقد كان يأخذ بالأسباب. وكان لا يغدر وينهى

---

(١) مسلم، برقم ٢٣٤٠.

(٢) عظيم الأصابع غليظها من الكفين والقدمين.

(٣) الكراديس: رؤوس العظام.

(٤) المَسَربة: الشعر الدقيق الذي يبدأ من الصدر وينتهي بالسرة.

(٥) الصبب: انخفاض من الأرض.

(٦) الترمذي في الشمائل، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، برقم ٤٣، ص٤٥ .

(٧) الترمذي في الشمائل، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، برقم ٤٤، ص٤٥ .

(٨) مختصر الشمائل للترمذي، اختصره وصححه الألباني، برقم ٣٤، ٣٥.

(٩) ثياب من نوع بُرُود اليمن، والبُرد: ثوب مخطط، ومحبّرة مزينة.

(١٠) مختصر شمائل الترمذي، برقم ٩٧، وصححه الألباني.

(١١) مختصر شمائل الترمذي برقم ١٨٨، وصححه الألباني.

(١٢) أحمد، ٣/ ١٣٤ .

(١٣) أحمد، ١/ ٣٥٢ وهو صحيح.

عن الغدر، وقد حفظه الله تعالى من أمور الجاهلية قبل الإسلام[1]، ورعى الغنم في صغره وما من نبيٍّ إلاّ رعاها[2]، وكان الحجر يسلم عليه قبل البعثة[3].

وله ﷺ أسماء، قال ﷺ: «**أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يُمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على عَقِبي**[4]، **وأنا العاقب**»، والعاقب الذي ليس بعده نبي[5].

وقال ﷺ: «**أنا محمد، وأحمد، والمُقفِّي**[6]، **والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة**»[7]، وكنيته أبو القاسم[8]، بعثه الله ليتَمِّمَ مكارم الأخلاق[9].

وذكر الله تعالى اسمه في القرآن في مواضع فقال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[10]، وقال سبحانه: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[11]، وقال عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾[12]، وقال سبحانه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾[13]، وقال جل وعلا في قول عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم: ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[14].

وكان يكثر الذكر، دائم الفكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ويحب الطيب ولا يرده، ويكره الروائح الكريهة، وكان أكثر الناس تبسماً، وضحك في أوقاتٍ حتى بدت نواجذه[15]، قال جرير رضي الله عنه: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسَّمَ في وجهي، ولقد شكوت إليه أنِّي لا أثبت على الخيل، فضرب في صدري، وقال: «**اللهم ثبّته، واجعله هادياً مهديّاً**»[16] ويمزح ولا يقول إلا حقّاً، ولا يجفو أحداً، ويقبل عذر المعتذر إليه، وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن، ويتنفس في الشرب ثلاثاً خارج الإناء، ويتكلم بجوامع الكلم، وإذا تكلم تكلَّم بكلامٍ بيِّنٍ فَصْلٍ، يحفظه من جلس إليه، ويعيد الكلمة ثلاثاً إذا لم تفهم حتى تُفهم عنه، ولا يتكلم من غير حاجة، وقد جمع الله له مكارم

---

(١) البخاري، برقم ٣٨٢٩، وأحمد ٤/ ٢٢٢ .

(٢) البخاري، برقم ٢٢٦٢، ورقم ٣٤٠٦ .

(٣) مسلم، برقم ٢٢٧٧ .

(٤) أي يحشر الناس على أثره، النهاية.

(٥) البخاري، برقم ٣٥٣٢، ومسلم برقم ٢٣٥٤ .

(٦) المقفّي: الذي قفى آثار من سبقه من الأنبياء ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا...﴾. [انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ١/ ٩٤].

(٧) مسلم، برقم ٢٣٥٥، وشمائل الترمذي برقم ٣١٦ ((مختصر الألباني)).

(٨) البخاري، برقم ٣٥٣٧، ومسلم، ٣/ ١٦٨٢ .

(٩) أحمد، ٢/ ٣٨١، برقم ٨٩٣٩ .

(١٠) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(١١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠ .

(١٢) سورة محمد، الآية: ٢ .

(١٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩ .

(١٤) سورة الصف، الآية: ٦ .

(١٥) النواجذ: الأنياب، وقيل: [هي الضواحك التي تبدو عند الضحك] النهاية، ٥/ ٢٠ .

(١٦) البخاري، برقم ٣٠٣٥، ورقم ٣٨٢٢، ورقم ٦٠٩٠ .

الأخلاق ومحاسن الأفعال، فكانت معاتبته تعريضاً، وكان يأمر بالرفق ويحثّ عليه، وينهي عن العنف، ويحث على العفو والصفح، والحلم، والأناة، وحسن الخلق ومكارم الأخلاق، وكان يحب التيمن في طهوره وتنعُّله، وترجُّله، وفي شأنه كله، ونهى عن الترجل إلا غباً، وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى، وإذا اضطجع اضطجع على جنبه الأيمن، ووضع كفه اليمنى تحته خده الأيمن، ويقول: أذكار النوم، وإذا عرَّس[1] قُبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه، وكان مجلسه: مجلس علم، وحلم، وحياء، وأمانة ، وصيانة، وصبر، وسكينة، ولا ترفع فيه الأصوات، ولا تنتهك فيه الحرمات، يتفاضلون في مجلسه بالتقوى، ويتواضعون، وَيُوَقِّرون الكبار، ويرحَمُون الصغار، ويؤثرون المحتاج، ويخرجون دعاة إلى الخير، وكان يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، وكان يمشي مع الأرملة والمسكين، والعبد، حتى يقضي له حاجته. ومر على الصبيان يلعبون فسلَّم عليهم، وكان لا يصافح النساء غير المحارم، وكان يتألف أصحابه ويتفقدهم، ويكرم كريم كل قوم، ويُقبل بوجهه وحديثه على من يُحدثه، حتى على أشرِّ القوم يتألفهم بذلك، وخدمه أنس ﷺ عشر سنين قال: (فما قال لي أُفٍّ قطّ، وما قال لي لشيء صنعته لِمَ صنعته، ولا لشيء تركته لِمَا تركته، وكان من أحسن الناس خُلُقاً ولامسست خزّاً، ولا حريراً، ولا شيئاً كان ألين من كفِّ رسول الله ﷺ ، ولا شممت مسكاً قطّ ولا عطراً أطيب من عرق النبي ﷺ)[2]. ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخَّاباً[3]، ولا يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح ويحلم، ولم يضرب خادماً ولا امرأة ولا شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى، وما خُيِّر بين شيئين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه.

وقد جمع الله له كمال الأخلاق ومحاسن الشيم وآتاه من العلم والفضل وما فيه النجاة والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة ما لم يؤت أحداً من العالمين، وهو أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب، ولا معلم له من البشر، واختاره الله على جميع الأولين والآخرين، وجعل دينه للجن والناس أجمعين إلى يوم الدين، فصلوات الله وسلامه عليه صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين؛ فإن خلقه كان القرآن[4].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[5] بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) التعريس: نزول المسافر آخر الليل نزلةً للنوم والاستراحة. انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٠٦.

(٢) البخاري، برقم ٦٠٣٨، ومسلم، برقم ٢٣٠٩، والترمذي في مختصر الشمائل، واللفظ له، برقم ٢٩٦ .

(٣) الصّخَّاب: الصخب والسخب: الضجة واضطراب الأصوات للخصام، فهو ﷺ لم يكن صخَّاباً في الأسواق ولا في غيرها. النهاية ٣/ ١٤ .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ١/ ٢٥-٢٦، و٣١-٣٣، ومختصر الشمائل المحمدية للترمذي، اختصره وحققه الألباني، ص١٣-١٩٤ .

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٢٨ .

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

عباد الله! اتقوا الله تعالى، واعلموا أنه ينبغي الاقتداء بالنبي ﷺ والتأسي به في جميع أعماله، وأقواله، وجدّه واجتهاده، وجهاده، وزهده، وورعه، وصدقه وإخلاصه، إلا في ما كان خاصّاً به، أو ما لا يُقدر على فعله؛ لقوله ﷺ: «**خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يَملُّ حتى تملُّوا**[1]»[2]؛ ولقوله: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**»[3].

عباد الله! إن العبد المسلم مأمور بالاقتداء بهذا الرسول الرحيم ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾[4]، هذا وصلوا على الرحمة المهداة كما أمركم الله تعالى بذلك فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[5]، وقال النبي ﷺ: «**مَن صلّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً**»[6]، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وارضَ اللهم عن أصحابه: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعَنّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، اللهم آمِنّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا، وجميع ولاة أمر المسلمين. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. اللهم اغفر لأمواتنا وأموات المسلمين، وأعذهم من عذاب القبر وعذاب النار، برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نسألك الهدى والتُّقى، والعفاف والغنى، اللهم اهدنا وسددنا، ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾[7]، عباد الله! ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[8]، فاذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿ **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾[9].

---

(١) البخاري مع الفتح، ٤/ ٢١٣، برقم ١٩٧٠، ومسلم ١/ ٥٤١، برقم ٧٨٢.

(٢) انظر: تهذيب السيرة النبوية للإمام النووي ص ٥٦، ومختصر السيرة النبوية للحافظ عبد الغني المقدسي ص ٧٧، وحقوق المصطفى للقاضي عياض ١/ ٧٧ – ٢١٥، ومختصر الشمائل المحمدية للترمذي ص ١١٢-١٨٨.

(٣) البخاري برقم ٧٢٨٨، ومسلم برقم ٢٦١٩.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٦) مسلم، برقم ٣٨٤.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٠٢.

(٨) سورة النحل: الآية: ٩٠.

(٩) سورة العنكبوت: الآية: ٤٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

منزلة الزكاة في الإسلام

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾(١). ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾(٢).

أيها المسلمون: اعلموا رحمكم الله أن الله جل وعلا فرض الزكاة في أموال الأغنياء من المسلمين؛ ولعظم منزلتها قرنها الله تعالى بالصلاة في القرآن الكريم سبعاً وعشرين مرة، وذكرها سبحانه وتعالى منفردة عن الصلاة في ثلاثة مواضع، فهذه ثلاثون مرة ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز(٣).

وجاءت الزكاة بلفظ الصدقة والصدقات في كتاب الله تعالى في مواضع من كتاب الله تعالى كقوله سبحانه: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾(٤). وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾(٥). والزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام ودعائمه العظام؛ لقول النبي ﷺ: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإيقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**»(٦). ولعظم شأن الزكاة جاءت السنة عن النبي ﷺ بالتفاصيل في أحكامها، فقد جاءت الأحاديث الصحيحة في العناية بالزكاة، والأمر بإخراجها، وبيان فرضيَّتها، وبيان أصناف الأموال الزكوية: من بهيمة الأنعام، والخارج من الأرض، والذهب والفضة، وعروض التجارة، وأوضحت النُّصُب ومقاديرها، وبيَّنت السُّنة أحكام الزكاة بياناً واضحاً، وفصَّلت أصناف أهل الزكاة الثمانية، وقد جاء في السنة أكثر من مائة وعشرة أحاديث في الزكاة(٧).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٣) انظر: منزلة الزكاة في الإسلام للمؤلف (ص ٢١).

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

(٦) البخاري، برقم (٨)، ومسلم برقم (١٦).

(٧) انظر: منزلة الزكاة للمؤلف (ص ٢٣).

ولعظم شأنها مَدَحَ الله القائمين بها في آيات كثيرة: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾[2]. وذمَّ التاركين لها وتارك إطعام المسكين؛ ولعظم شأنها أمر الله بها أمراً مطلقاً في مكة، ثم فُرضت في السنة الثانية للهجرة: الزكاة ذات النُّصُب والمقادير، ويدل على عظم منزلتها: أن إمام المسلمين يقاتل من منعها، قال عليه الصلاة والسلام: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**»[3]. وقال أبو بكر رضي الله عنه في مَنْ مَنَعَ الزكاة: «والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه». وفي رواية: «والله لو منعوني عناقاً...» [4]، ومما يؤكد عظم منزلة الزكاة أن من جحد وجوبها كفر؛ ولعظم شأنها ومنزلتها جاءت النصوص من الكتاب والسنة في بيان عقوبة تاركها، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[5]. وقال النبي ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه، وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيُرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**». ثم ذكر الإبل، والغنم والبقر[6]، وقال ﷺ: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوِّقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه – يعني شدقيه – ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾**[7].

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٣) البخاري، برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٢٢).

(٤) البخاري برقم (١٣٩٩)، ومسلم برقم (٢٠).

(٥) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

(٦) البخاري برقم (١٤٠٢)، ومسلم برقم (٩٨٧ و٩٨٨).

(٧) البخاري برقم (١٤٠٣)، والآية من آل عمران: ١٨٠.

ومن عظم شأنها أن إمام المسلمين يعزر من تهاون بأداء الزكاة. وأما فوائد الزكاة فكثيرة جداً، منها: أن إسلام العبد لا يتم إلا بأدائها، ويحصل بها تنفيذ أمر الله رجاء ثوابه وخشية عذابه، وتُثبّت أواصر المحبة بين الغني والفقير، وتطهِّر النفس وتزكِّيها، وتعوِّد المسلم على الجود، وتحفظ النفس من الشح، وتُستجلب بها البركة ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[1]. وقال ﷺ: «**ما نقصت صدقةٌ من مالٍ، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه**»[2]. وقال الله تعالى في الحديث القدسي: «**انفق يا ابن آدم أنفق عليك**»[3]. وهي برهان على صدق إسلام مخرجها، وتشرح صدر المسلم، وتُلحقه بالمؤمن الكامل، وهي من أسباب دخول الجنة، وتُنجي من حرِّ يوم القيامة، كما قال النبي ﷺ: «**كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس**»[4]. وتجعل المجتمع كالأسرة الواحدة، وسبب لنزول الخيرات ودفع العقوبات؛ لحديث عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ وفيه: «**ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا..**» [5]. وهي تطفئ الخطايا وتكفِّرها، قال ﷺ: «**... والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**»[6]، وهي وقاية لصاحب المال من العذاب، وتطهِّر المال والنفس، وتحفظ المال من الفساد، وأداؤها من أسباب الرحمة والنصر، ومن أعظم أنواع الإحسان.

عباد الله: أدُّوا زكاة أموالكم؛ فإن ذلك من أسباب نجاتكم وسعادتكم في الدنيا والآخرة. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

(٢) مسلم برقم (٢٥٨٨).

(٣) البخاري برقم (٥٣٥٢)، ومسلم (٩٩٣).

(٤) أحمد برقم (١٧٣٣٣)، وابن خزيمة وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

(٥) ابن ماجه برقم (٤٠١٩) وغيره، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٣٧٠).

(٦) الترمذي، برقم (٢٦١٦) وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٢/ ١٣٨).

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله التواب الغفور الرحيم، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: إن الله قد أوجب عليكم زكاة في أموالكم طُهرة لأموالكم ولأنفسكم، وبركة في أموالكم، وقد أعطاكم الكثير، وأمركم بإخراج القليل، ووعدكم بالخلف والبركة. والزكاة تَجِبُ على المسلم، الحُرِّ، الذي مَلَكَ نصاباً مِلكاً مستقرّاً، ودار عليه الحول سنة كاملة، والأموال التي تجب فيها الزكاة أربعة أصناف:

الصنف الأول: السائمة الراعية من بهيمة الأنعام: وهي الإبل: وأقلُّ نصابها خمس من الإبل فيها شاة، والبقر: أقل نصابها ثلاثون فيها تبيع أو تبيعة لها سنة، والغنم: أقل نصابها أربعون، فيها شاة، والمسلم الذي عنده شيء من هذا المال يسأل أهل العلم عن ذلك.

والصنف الثاني: زكاة الخارج من الأرض: كالحبوب والثمار، وأقل النصاب خمسة أوسق، وهي ثلاثمائة صاع بصاع النبي ﷺ، يجب في ذلك نصف العشر إذا كان يُسقى بالسواني أو المكائن أو غيرذلك، أما ما كان يُسقى من المطر أو العيون ففيه العشر كاملاً، ومن كان عنده شيء من ذلك فليسأل أهل العلم.

والصنف الثالث: الذهب والفضة، والأوراق النقدية: كالريالات، والدراهم، والدولارات، والليرات، وغير ذلك من أنواع الأوراق النقدية، فإذا بلغت قيمة هذه الأوراق نصاب الذهب أو الفضة، وحال عليها الحول وجبت فيها الزكاة، ونصاب الذهب عشرون مثقالاً يساوي أحد عشر جنيهاً سعودياً وثلاثة أسباع الجنيه، ومقدارها بالغرامات: اثنان وتسعون جراماً. وأما الفضة فنصابها مائتي درهم تساوي مائة وأربعون مثقالاً ونصابها بالغرامات تقريباً ستمائة وأربعة وأربعون جراماً، وهي تقارب ٥٦ ريالاً سعودياً فضيّاً، وإذا بلغت قيمة الأوراق النقدية أو المعدنية نصاب الذهب أو الفضة زُكِّيت؛ فإن حكمها حكم النقدين: من الذهب والفضة، والواجب في الذهب والفضة ربع العُشر أي في المائة اثنان ونصف، وفي الألف خسمة وعشرون.. وهكذا.

الصنف الرابع من الأموال: عروض التجارة، وهي كل ما أُعدَّ للبيع والشراء من أجل الربح، من عقارٍ، وحيوان، وطعام، وآلات، ففي عروض التجارة ربع العشر إذا حال عليها الحول، تقوَّم بالنقود ثم تُزكَّى قيمتها إذا اكتمل النصاب بقيمة الذهب والفضة، والتقويم يكون على رأس الحول من كل سنة. والصواب أن حُليِّ النساء المستعمل فيه الزكاة؛ لأدلة منها حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أن امرأة أتت رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب فقال: «**أتعطين زكاة هذا؟**» قالت: لا. قال: «**أيَسُرُّكِ أن يُسَوِّرِكِ اللهُ بهما يوم القيامة سوارين من نار؟**» فخلعتهما فألقتهما إلى

النبي ﷺ، وقالت: هما لله عز وجل ولرسوله»[1]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ فرأى في يدي فتخات من وَرِق [أي فضة] فقال: «**ما هذا يا عائشة؟**» فقلت: صنعتهنَّ أتزيَّن لك يا رسول الله! قال: «**أتُؤدِّينَ زكاتهنَّ؟**» قلت: لا أو ما شاءالله، قال: «**هو حسبك من النار**»[2]. وعن أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت: كنت ألبس أوضاحاً من ذهب فقلت: يا رسول الله: أكَنزٌ هُوَ؟ فقال: «**ما بلغ أن تؤدَّى زكاته فُزُكِّي فليس بكنز**»[3].

عباد الله: اتقوا الله تعالى وأدُّوا زكاة أموالكم ابتغاء مرضاة ربكم، وادفعوها لأهلها الذين بيَّنهم الله تعالى بقوله: ﴿ **إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[4].

ومن كان عليه دين وعنده مال بلغ النصاب؛ فإن الدين لا يمنع الزكاة على الصحيح، وزكاة الدين الذي لك يا عبدالله على الناس فيه الزكاة إذا كان على مليء معترفٍ به باذلٍ له فتزكِّيه كل ما حال عليه الحول، أما إذا كان على معسرٍ أو جاحدٍ أو مماطل فلا يلزم على الصحيح زكاته، ولكن إذا قبضته فزكيته زكاة سنة واحدة على ما مضى من السنين كان ذلك أفضل.

واعلموا عباد الله أن الزكاة حق الله تعالى لا تجوز المحاباة فيها لمن لا يستحقها، ولا أن يجلب الإنسان بها لنفسه نفعاً، أو يدفع بها عن نفسه شرّاً، ولا أن يقي بها ماله، أو يدفع بها عنه مذمَّة؛ بل يجب دفعها لأهلها ابتغاء مرضاة الله وثوابه.

هذا وصلوا على خير خلق الله محمد بن عبدالله ﷺ، ورضي عن أصحابه: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر الصحابة أجمعين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وانصر عبادك المخلصين، اللهم إنا نسألك العفوَ والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوُّلِ عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك، اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، واغفر لأمواتنا وأموات المسلمين وارحمهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[5]. فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ **وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾[6].

---

(١) أبو داود برقم (١٥٦٣) وغيره، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٤٢٩)، ونقل ابن باز تصحيحه عن ابن القطان «مجموع فتاوى ابن باز (١٤/ ٨٦)».

(٢) أبو داود برقم (١٥٦٥) وغيره، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٤٢٩).

(٣) أبو داود برقم (١٥٦٤) وغيره، وحسن الألباني المرفوع منه في صحيح سنن أبي داود، (١/ ٤٢٩)، وقال ابن باز عن إسناد أبي داود: «بإسناد جيد» فتاوى ابن باز (١٤/ ٨٦).

(٤) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

(٥) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

نسبه ونشأته ﷺ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، وسَلّم تسليماً كثيراً، أَمّا بعد:

عباد الله اتقوا الله تعالى، واعلموا أنه يجب على كل مسلم ومسلمة معرفة نبيه ﷺ، التي هي أحد الأصول الثلاثة، التي يُسأل عنها في قبره.

فهو محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام[1].

ولد ﷺ عام الفيل بمكة في شهر ربيع الأول[2] يوم الاثنين[3] الموافق ٥٧١م[4].

وقدنشأ النبي ﷺ يتيماً فآواه الله تعالى، وعائلاً فأغناه الله، فقد تُوفِّي والده عبد الله وهو ﷺ حملٌ في بطن أمه، وأرضعته ثُوَيْبَةُ أيَّاماً[5] وهي مولاة لأبي لهبٍ، ثم أرضعته حليمة السعدية في البريَّة، وأقام عندها في بني سعدٍ نحواً من أربع سنين، وَشُقَّ عن فُؤاده هناك وهو يلعب مع الغلمان، فعن أنس ﷺ: «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقةً فقال: **هذا حظ الشيطان منك**، ثم غسله في طستٍ[6] من ذهب بماء زمزم ثم لامَهُ[7] ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره)[8] فقالوا: إن محمداً قد قُتِلَ، فاستقبلوه وهو مُنتقع اللَّون[9] قال أنسٌ: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره»[10] وعند هذه الحادثة العظيمة خافت عليه حليمة السعدية رضي الله عنها، فردّته إلى أمه آمنة بنت وهب، فخرجت به أمه إلى المدينة، تزور أخواله،

---

(١) انظر نسب النبي ﷺ إلى آدم: البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ١٩٥، وسيرة ابن هشام ١/ ١، قال ابن القيم عن نسبه ﷺ إلى عدنان: (إلى هاهنا معلوم الصحة متفق عليه بين النسَّابين، ولا خلاف فيه البتَّة، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن "عدنان" من ولد إسماعيل عليه السلام، وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم [زاد المعاد، ١/ ٧١].

(٢) هذا هو الصحيح المشهور أنه ولد ﷺ عام الفيل في شهر ربيع الأول، وقد نقل بعضهم الإجماع على ذلك، انظر: تهذيب السيرة للإمام النووي ص ٢٠.

(٣) التحديد بيوم الإثنين ثابت؛ لقوله ﷺ حينما سئل عن صومه: ((فيه ولدت وفيه أُنزِل عليَّ)) مسلم ٢/ ٨٢٠. أما تحديد تاريخ اليوم ففيه عدة أقوال: فقيل في اليوم الثاني، وقيل لثمانٍ، وقيل لعشر، وقيل: لسبعة عشر، وقيل في الثاني عشر، وقيل غير ذلك، وأشهر وأقرب الأقوال قولان: الأول: أنه ولد لثمانٍ مضين من ربيع الأول، ورجحه ابن عبد البر عن أصحاب التأريخ: انظر: البداية والنهاية ٢/ ٢٦٠ وقال: "هو أثبت". القول الثاني: أنه ولد في الثاني عشر من ربيع الأول، قال ابن كثير في البداية والنهاية: "وهذا هو المشهور عند الجمهور" ٢/ ٢٦٠، وجزم به ابن إسحاق: انظر: سيرة ابن هشام ١/ ١٧١.

(٤) انظر: الرحيق المختوم ص ٥٣.

(٥) البخاري مع الفتح، ٩/ ١٢٤.

(٦) طستٍ: إناء كبير مستدير [فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١/ ٤٦٠].

(٧) لامه: جمعه وضم بعضه على بعضٍ [شرح النووي على صحيح مسلم].

(٨) ظِئره: هي المرضعة، ويقال أيضا لزوج المرضعة [شرح النووي].

(٩) منتقع اللون: أي متغير اللون [شرح النووي على صحيح مسلم].

(١٠) مسلم، برقم ٢٦١-(١٦٢) وانظر: البداية والنهاية لابن كثير، بتحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ٣/ ٤١٣.

ثم رجعت متجهة إلى مكة فماتت في الطريق بالأبواء، بين مكة والمدينة، وعمره ﷺ ست سنين وثلاثة أشهر وعشرة أيام[1] ولما ماتت أمه كفله جده عبد المطلب، فلما بلغ ثماني سنين توفي جده وأوصى به إلى عمه أبي طالب؛ لأنه كان شقيق عبد الله بن عبد المطلب فكفله، وأحاطه أتمَّ حياطة، ونصره حين بعثه الله، أعزَّ نصرٍ، مع أنه كان مستمراً على شركه إلى أن مات، فخفَّفَ الله بذلك من عذابه بشفاعة النبي ﷺ، قال ﷺ: «**هو في ضحْضاحٍ من النار، ولولا أنا لكان في الدَّرْكِ الأسفلِ من النار**». وفي لفظٍ: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامةِ فيُجعلُ في ضحْضاحٍ من النارِ يبلغ كعبَيه، يغلي منه دِمَاغُه**»[2]، وخرج مع عمِّه أبي طالب إلى الشام في تجارةٍ، وهو ابن ثنتي عشرة سنة، وذلك من تمام لطفه به؛ لعدم من يقوم به إذا تركه بمكة، فَرَأَى عبد المطلب وأصحابه ممن خرج معه إلى الشام من الآيات فيه ﷺ ما زاد عمَّه في الوصاة بِهِ، والحرص عليه، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبي ﷺ في أشياخٍ من قريشٍ، فلما أشرفوا على الراهب هبطُوا فحلُّوا رحالهم، فخرج إليهم الرّاهبُ، وكانوا قبل ذلك يمرُّون به فلا يخرج إليهم، ولا يلتفتُ، قال: فهم يحلُّون رِحالهم فجعل يتخلَّلهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ، قال: «**هذا سيدُ العالَمِين، هذا رسولُ ربِّ العالمين، يبعثه الله رحمةً للعالمين، فقال له أشياخٌ من قريش ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبقَ شجرٌ ولا حجرٌ إلا خرَّ ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبي، وإنِّي أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروفِ كتفهِ مثل التُّفَّاحة...**» الحديث وفيه: أن النبي ﷺ أظلته غمامةٌ ومالت الشجرة بظلها عليه[3] وأمر الراهب أبا طالب بالرجوع به إلى مكة؛ لئلا يراه اليهود؛ فيحصل له منهم سوء، فأرسل به عمه إلى مكة، ثم أرسلت به خديجة بنت خويلد في تجارةٍ لها إلى الشام مع غلامها ميسرة، فربحت تجارة خديجة رضي الله عنها، فرأى ميسرة ما بهره من شأنه، فرجع فأخبر سيدته بما رأى، فرغبت إلى النبي ﷺ أن يتزوجها، لِـمَا رجَتْ في ذلك من الخير الذي جمعه الله لها، وفوق ما يخطر بِبَالِ بشر، فتزوجها رسول الله ﷺ، وله من العمر خمس وعشرون سنة، وكان عمرُ خديجة أربعون سنة[4]، وقد حماه الله تعالى من صغره من دنس الجاهلية، ومن كلِّ عيب، فلم يُعظِّم لهم صنماً في عمره قط، ولم يحضر مشهداً من مشاهد كفرهم، وكانوا يطلبونه بذلك فيمتنع، ويعصمه الله من ذلك، وما شرب خمراً قط، وما عمل فاحشة قط، وكان يعلم بأنهم على باطل،

---

(١) البداية والنهاية، ٤/ ٤٢٣، والفصول في سيرة الرسول ﷺ، لابن كثير، ص٩٢ وقد ماتت أمه وأبوه انظر: صحيح مسلم، برقم ٢٠٣ (على دين الجاهلية ولا حول ولا قوة إلا بالله).

(٢) البخاري، برقم ٣٨٨٣، ٣٨٨٤، و٣٨٨٥، ٦٢٠٨، ٦٥٧٢، ومسلم، برقم ٢٠٩ .

وانظر: الفصول لابن كثير، ص٩٣، والبداية والنهاية، ٥/ ٤٣١-٤٣٤.

(٣) الترمذي برقم ٣٦٢٠، وقال عنه ابن كثير في الفصول في سيرة الرسول ﷺ ص٩٤: ((بإسناد رجاله كلهم ثقات)) وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٣٦٢٠، في فقه السيرة للغزالي ص٦٨ وقال: ((إسناده صحيح)) وقال: لكن ذِكر بلال فيه منكر كما قيل قال: ((قلت: وقد رواه البزار فقال: وأرسل معه عمه رجلاً)).

(٤) قاله ابن القيم في زاد المعاد، ١/ ١٠٥، وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٤٦٦: ((وكان عمرها آنذاك خمساً وثلاثين وقيل: خمساً وعشرين)).

ولم يشرك بالله قطٌّ، ولم يحضر مجلس لهوٍ[1]، ولم يعمل شيئاً مما كان يعمله قومه من الفواحش والمنكرات، فقد نشأ في مجتمعٍ كَثُرت فيه المفاسد وعمت فيه الرذائل، فالشرك بالله تعالى، ودعاء غيره معه، وقتل الأنفس بغير حق، والظلم، والبغاء، والاستبضاع، والزنى الجماعي، والأفرادي، ونكاح أسبق الرجال ممن مات زوجها، والاعتداء على الأعراض، والأموال، والدماء، كل ذلك كان شائعاً في قومه قبل الإسلام، لا ينكره أحد، ولا تحاربه جماعة، بالإضافة إلى وَأْدِ البناتِ، وقتل الأولاد خشية الفقر، أو العار، ولعب الميسر، وشرب الخمر، أمور تعدُّ في الجاهلية من المفاخر، والتباهي، وليس من شرط أن يكون المجتمع كلُّه يرتكب هذه الجرائم، وإنما عدم إنكارها هو دليل على الرضى بها، والنبي ﷺ لم يعمل أي عمل أو يباشر أيَّ خُلقٍ من هذه الأخلاق الرذيلة، وقد أدَّبه ربُّهُ فأحسن تأديبه[2]، وهذه الأخلاق التي اتصف بها قد عرفها قومه منه؛ ولهذا لُقِّب بين قومه «بمحمدٍ الأمين»[3].

وقد بنت قريش الكعبة في سنة خمس وثلاثين من عمر النبي ﷺ، وعندما وصلوا إلى موضع الحجر الأسود اختلفوا، واشتجروا فيمن يضع الحجر الأسود موضعه، فقالت كلُّ قبيلةٍ: نحن نضعه، ثم اتفقوا على أن يضعه أَوَّلُ داخلٍ عليهم، فكان أول من دخل عليهم رسول الله ﷺ، ففرِحوا به كثيراً، فقالوا: جاء الأمين، فرضوا به أن يكون حكماً بينهم؛ ليحلّ النزاع ويقف القتال الذي كاد أن يحصل، فأمر ﷺ بثوبٍ فَوُضِعَ الحجر في وسطه، وأمر كلَّ قبيلة أن ترفع بجانب من جوانب الثوب، ثم أخذ الحجر فوضعه بيديه في موضعه ﷺ[4].

وبعد ذلك حبب الله إليه الخلوة والانعزال عن الناس؛ لكي يتعبد لله تعالى، وكان يخلو بغار حراء يتعبد لله تعالى على ملة إبراهيم ﷺ، ولما كمَّل الأربعين أكرمه الله تعالى بالنبوّة، ولا خلاف أن مبعثه كان يوم الإثنين، وقيل بأن الشهر كان ربيع الأول سنة إحدى وأربعين لثمانٍ خلون منه، من عام الفيل وهذا قول الأكثرين[5].

وجاءه جبريل في غار حراء، فقال له: اقرأ، فقال: «**لست بقارئ**»، قال: اقرأ قال: «**لست بقارئ**» فغتَّه[6] حتى بلغ منه الجهد، فقال له: اقرأ، فقال: «**لست بقارئ**» فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[7]، وبهذه

---

(١) الفصول في سيرة الرسول ﷺ، لابن كثير، ص٩١-٩٥، والبداية والنهاية، ٣/ ٤٠٦-٤٥١، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، ١/ ٢٤.

(٢) لم يثبت ((أدّبني ربي فأحسن تأديبي)) لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية في = = مجموع الرسائل الكبرى، ٢/ ٣٣٦: ((معناه صحيح ولكن لا يعرف له إسناد ثابت))، وأيده السخاوي والسيوطي، فراجع كشف الخفاء ١/ ٧٠. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني برقم ٧٢.

(٣) أحمد في المسند، ٣/ ٤٢٥، وحسنه الألباني في تخريج فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص٨٤.

(٤) الفصول في سيرة الرسول ﷺ لابن كثير، ص٩٥.

(٥) زاد المعاد لابن القيم، ١/ ٧٨، قال: وقيل: ((كان ذلك في رمضان، وقيل كان ذلك في رجب)).

(٦) غته: حبس أنفاسه، وفي رواية البخاري: ((غطني)) ومعناه: ضمَّني وعصرني.

(٧) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

السورة كان ﷺ نبيًّا، ثم رجع ﷺ إلى خديجة رضي الله عنها يرجفُ فؤادُهُ فدخل عليها وقال: «**زملوني زمِّلوني**» فزمَّلوه[1] حتى ذهب عنه الرَّوعُ، فأخبر خديجة الخبر، فقالت خديجة رضي الله عنها: (كلا والله ما يُخزيك اللهُ أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمِل الكلَّ، وتكسِب المعدوم، وتقري الضيف، وتعينُ على نوائب الحق...) الحديث[2]، ثم أرسله الله تعالى بسورة المدثر إلى الإنس والجن، قال ﷺ: «**بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعتُ بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرُعبْتُ منه، فرجعت فقلت زمِّلوني، فأنزل الله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ **إلى قوله:** ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ **فحميَ الوحيُ وتتابع**»[3]، وبهذه السورة كان رسولاً ﷺ، وقد بعثه الله تعالى بالنذارة عن الشرك، والدعوة إلى التوحيد، فبدأ ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى سراً، فأسلم على يديه: السابقون الأولون، وكان أول من أسلم خديجة رضي الله عنها، ثم علي ثم زيد بن حارثة، ثم أبو بكر رضي الله عنهم، ثم دخل الناس في دين الله واحد بعد واحد، حتى فشى الإسلام في مكة، ثم أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يجهر بالدعوة فقال: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢١٥ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[4]، فدعاهم إلى الله، وصعد على الصفا وقال: «**يا بني فهر، يا بني عدي**» لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج عليكم بسفح هذا الوادي أكنتم مصدقي؟**» قالوا: نعم ما جرَّبنا عليك كذباً، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد**»[5]، وقد ناصبه صناديد قريش ومن معهم العداء، ولكن مع ذلك لم يستطع أحد منهم أن يتهمه بصفة الكذب أو صفة غير لائقة، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[6]، ولو عرفوا خُلُقاً ذميماً – وقد عاش بينهم أربعين عاماً -؛ لأراحهم من التنقيب عن خصلة غير حميدة يتهمونه بها أمام الناس، ووجدوا أن كلمة (ساحر) و(كاهن) هي أنسب الصفات التي يطلقونها عليه؛ حيث يفرق بدعوته إلى الله بين الأب وابنه، والأخ وأخيه، والزوجة وزوجها، واتهموه بالجنون؛ لأنه خالف شركهم ودعا إلى عبادة الله وحده، وتابع دعوته إلى الله في المواسم، والأسواق، وخرج إلى الطائف، وأسلم الجن في طريقه عند رجوعه من الطائف، وحصل له من الأذى الكثير فصبر واحتسب، وبقي في مكة عشر سنين يدعو إلى التوحيد، ثم جاءه جبريل قبل الإسراء، ففرج

---

(١) زمِّلوني: أي غطُّوني أو لُفُّوني بثوبٍ أو نحوه.

(٢) البخاري، برقم ٣، ومسلم، برقم ١٦٠ .

(٣) البخاري، برقم ٤.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٤-٢١٦.

(٥) البخاري، برقم ٤٩٧١، ومسلم / ١٩٤ – (برقم ٢٠٨).

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.

صدره ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطستٍ ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدره، ثم أطبقه[1]، وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أن النبي ﷺ شُقَّ صدره ثلاث مرات، الأولى في بني سعد وهو صغير، والثانية عند البعثة فقال: (وثبت شق الصدر أيضاً عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوَّة، فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس «**فأخرج علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك**» وكان هذا في زمن الطفولية فنشأ على أكمل الأحوال، من العصمة من الشيطان، ثم وقع شق الصدر عند البعث زيادة في إكرامه؛ ليتلقى ما يُوحى إليه بقلبٍ قويٍّ في أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند العروج إلى السماء؛ ليتأهب للمناجاة، ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه ﷺ»[2]. ثم أُسري به إلى بيت المقدس، ثم عُرج به إلى السماء إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام فوق السماء السابعة، وفُرِضَت عليه الصلوات الخمس، وصلّى بالأنبياء ركعتين، ورجع قبل أن يُصبح إلى مكة، وصلَّى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أُمِر بالهجرة إلى المدينة، فلما استقر بالمدينة[3] أُمِر ببقية شرائع الإسلام مثل: الزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، والأذان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام، أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي ﷺ يوم الاثنين من ربيع الأول على القول المشهور، في السنة الحادية عشرة من الهجرة[4]، وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً، وقد توفي ﷺ ودينه باقٍ وهذا دينه، لا خير إلا دلَّ أمته عليه، ولا شر إلا حذَّرها منه، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين لا نبي بعده، وقد بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على الجن والإنس، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار[5].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[6] بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) البخاري، برقم ٣٤٩، ومسلم برقم ١٦٣.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٧/ ٢٠٤-٢٠٥.

(٣) وصل إلى المدينة ﷺ يوم الإثنين من شهر ربيع الأول وحدده بعضهم باليوم الثاني عشر من ربيع الأول، انظر: فتح الباري ٧/ ٢٢٤.

(٤) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٥/ ٢٥٥، وتهذيب السيرة للنووي ص٢٥، وفتح الباري لابن حجر ٨/ ١٢٩.

(٥) انظر: صحيح البخاري، برقم ٣٨٥١، والأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٧٥، ٧٦.

(٦) سورة التوبة، الآية: ١٢٨ .

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

عباد الله! اتقوا الله تعالى، وتعلموا سيرة نبيكم ﷺ العطرة، فإن من لم يعرفه، وما هو عليه من الخلق العظيم لا يُحبه، وهذا يبين أن معرفته ﷺ واجبة على كل مسلم ومسلمة.

عباد الله! إن العبد المسلم مأمور بالاقتداء بهذا الرسول الرحيم ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾[1]، هذا وصلوا على الرحمة المهداة كما أمركم الله تعالى بذلك فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[2]، وقال النبي ﷺ: «**مَن صلّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً**»[3]، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وارضَ اللهم عن أصحابه: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعَنّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، اللهم آمِنّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا، وجميع ولاة أمر المسلمين. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. اللهم اغفر لأمواتنا وأموات المسلمين، وأعذهم من عذاب القبر وعذاب النار، برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نسألك الهدى والتُّقى، والعفاف والغنى، اللهم اهدنا وسددنا، ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾[4]، عباد الله! ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[5]، فاذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿ **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾[6].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١ .
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦ .
(٣) مسلم، برقم ٣٨٤ .
(٤) سورة البقرة، الآية : ٢٠٢ .
(٥) سورة النحل : الآية : ٩٠ .
(٦) سورة العنكبوت: الآية : ٤٥.

عموم رسالة النبي ﷺ للجن والإنس

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، وسَلّم تسليماً كثيراً، أَمّا بعد:

عباد الله! اتقوا الله واعلموا أن أصل الأصول هو تحقيق الإيمان بما جاء به محمد ﷺ، وأنه رسول الله إلى جميع الخلق: إنسهم وجنّهم، عربهم وعجمهم، كتابيّهم ومجوسيّهم، رئيسهم ومرؤوسهم، وأنه لا طريق إلى الله – عز وجل – لأحد من الخلق إلا بمتابعته ﷺ باطناً وظاهراً، حتى لو أدركه موسى وعيسى، وغيرهما من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام؛ لوجب عليهم اتباعه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1].

قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: (ما بعث الله نبيّاً إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بُعِثَ محمد وهو حيٌّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به، ولينصرنه)[2].

ولهذا جاء في الحديث: «**لو كان موسى حيّاً بين أظهركم ما حلّ له إلا أن يتبعني**»[3].

ومن خالف عموم رسالة النبي ﷺ لا يخلو من أحد أمرين:

١ – إما أن يكون المخالِفُ مؤمناً بأنه مرسل من عند الله؛ ولكنه يقول: رسالته خاصة بالعرب.

٢ – وإما أن يكون المخالف منكراً للرسالة جملةً وتفصيلاً.

فأما المعترف له بالرسالة؛ ولكنه يجعلها خاصة بالعرب فإنه يلزمه أن يصدقه في كل ما جاء به عن الله – تعالى – ومن ذلك عموم رسالته، ونسخها للشرائع قبلها، فقد بيّن ﷺ أنه رسول الله إلى الناس أجمعين، وأرسل رسله، وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي، وسائر ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، ثم قاتل من لم يدخل في الإسلام من المشركين، وقاتل أهل الكتاب، وسبى ذراريهم، وضرب الجزية عليهم، وذلك كلّه بعد امتناعهم عن الدخول في الإسلام، أما كونه يؤمن برسول ولا يصدّقه في جميع ما جاء به فهذا تناقض ومكابرة.

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٨١، ٨٢ .

(٢) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص٧٧، ١٩١ – ٢٠٠، وفتاوى ابن تيمية ١٩/ ٩ – ٦٥، بعنوان: إيضاح الدلالة في عموم الرسالة للثقلين، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ٣١ – ١٧٦، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٧٨، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ٣٣٤، ومعالم الدعوة للديلمي ١/ ٤٥٤ – ٤٥٦، والمناظرة في الإسلام والنصرانية ص٣٠٣ – ٣٠٩.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٣٣٨، وله شواهد وطرق كثيرة ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٧٣ – ١٧٤، وانظر: مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني ١/ ٦٣، ٦٨.

وأما المنكر لرسالة نبينا محمد ﷺ مطلقاً، فقد قام البرهان القاطع على صدق صاحب الرسالة ﷺ، ولا تزال معجزات القرآن تتحدى الإنس والجنّ، فإما أن يأتي بما يُناقض المعجزة القائمة وإلا لزمه الاعتراف بمدلولها، فإن اعترف بالرسالة لزمه التصديق بكل ما أخبر به الرسول ﷺ، وإن ذهب يُكابر ويُعاند ليأتي بقرآن مثل ما جاء به محمد ﷺ وقع في العجز وفضح نفسه لا محالة؛ لأن أصحاب الفصاحة والبلاغة قد عجزوا عن ذلك، ولا شكّ أن غيرهم أعجز عن هذا؛ لأن القرآن معجزة قائمة مستمرة خالدة[1].

وحينئذ يلزم جميع الخلق العمل بما فيه والتحاكم إليه.

وقد صرح القرآن الكريم بأن محمداً ﷺ رسول إلى جميع الناس، وخاتم النبيين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[3]، وقال تعالى يأمر نبيَّه بالإنذار والتبليغ: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾[4].

وهذا تصريح بعموم رسالته لكل من بلغه القرآن.

وصرح تعالى بشمول رسالة النبي ﷺ لأهل الكتاب، فقال: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ ﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[7]، وقال عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[8].

وبلَّغَ ﷺ الناس جميعاً أنه خاتم الأنبياء، وأن رسالته عامة، قال ﷺ: ((**أعطيت خمساً لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ من الأنبياء قبلي**))، وذكر منها: ((**وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة، وبُعثت إلى الناس كافَّةً**))... الحديث[9].

وقال ﷺ: «**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلاّ وُضِعت هذه اللبنة؟**» قال: ((**فأنا اللَّبنةُ، وأنا خاتم**

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ١٤٤، ١٦٦، ومناهج الجدل في القرآن الكريم ص٣٠٣، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور/ صالح بن فوزان ٢/ ١٨٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٢٠.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٧) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٨) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٩) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: ((جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)) ١/ ٥٣٣ (رقم ٤٣٨)، ومسلم، كتاب المساجد ١/ ٣٧٠، (رقم ٥٢١).

النبيين))[1].

وعموم رسالته ﷺ لجميع الإنس والجن في كل زمان ومكان من بعثته إلى يوم القيامة، وكونها خاتمة الرسالات، يقضي ويدلّ دلالة قاطعة على أن النبوة قد انقطعت بانقطاع الوحي بعده، وأنه لا مصدر للتشريع والتعبد إلا كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ، وهذا يقتضي وجوب الإيمان بعموم رسالته واتباع ما جاء به، فقد قال ﷺ : «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[2].

وبعون الله – تعالى – فقد قامت الحجة وثبتت رسالة النبي ﷺ وعمومها وشمولها لجميع الثقلين: الإنس والجن، في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾[3]، ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ... ﴾ الآية[4].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى للنبي ﷺ : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ٦/ ٥٥٨ (رقم ٣٥٣٥)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ٤/ ١٧٩٠ (رقم ٢٢٨٦).

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته ١/ ١٣٤ (رقم ١٥٣).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٤ .

(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٩ .

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

عباد الله! اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الله تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الجن والإنس كافّة، لا نبي بعده إلى قيام الساعة ﷺ، فيجب على الإنس والجن: عربهم وعجمهم، ذكرهم وأنثاهم، اتباع النبي ﷺ، والاعتقاد الجازم أنه رسول الله حقاً لا نبي بعده ﷺ.

هذا وصلوا على خير خلق الله نبينا محمد بن عبد الله كما أمركم الله تعالى بذلك فقال: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[1]، وقال النبي ﷺ: «**مَن صلّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً**»[2]، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وارضَ اللهم عن أصحابه: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعَنّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، اللهم آمِنّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا، وجميع ولاة أمر المسلمين. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. اللهم اغفر لأمواتنا وأموات المسلمين، وأعذهم من عذاب القبر وعذاب النار، برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نسألك الهدى والتُّقى، والعفاف والغنى، اللهم اهدنا وسددنا، ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾[3]، عباد الله! ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[4]، فاذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿ **وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾[5].

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.
(٢) مسلم، برقم ٣٨٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٢.
(٤) سورة النحل: الآية: ٩٠.
(٥) سورة العنكبوت: الآية: ٤٥.

خلق النبيِّ ﷺ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، وسَلّم تسليماً كثيراً، أَمّا بعد:

عباد الله اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الله أرسل مُحَمّداً ﷺ رحمةً للعالمين، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، فهو رحمةٌ للإنس، والجن، مؤمِنِهم وكافِرِهم؛ يدعوهم إلى الله؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، قال الله تعالى له: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[2]، وقال تعالى للنبي ﷺ : ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾[3]، فهو ﷺ رحمةٌ للعالمين وحجةٌ على خلقه أجمعين، وهو مِنّةٌ من الله تعالى على المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[4]، وعن أبي نضرة قال: حدثني من سمع خطبة النبيِّ ﷺ وسط أيام التشريق فقال: «**يا أيها الناس إنَّ ربَّكُم واحد، وإنَّ أباكم واحد، أَلاَ لاَ فَضْلَ لعربيٍّ على أعجميٍّ ولا لعجميٍّ على عربي، ولا لأحمرَ على أسود، ولا لأسود على أحمر إلاّ بالتّقوى**»[5]. وهذا فيه الدلالةُ الواضحةُ على أنه لا فرق بين الناس إلا بالتقوى، فكلما كان الإنسان لله أتقى فهو أفضل، من أي الأجناس أو الألوان كان.

وقد مَنَّ الله تعالى على هذا النبي الكريم بمكارم الأخلاق كلِّها؛ فإنه لا يُحصى من دخل في الإسلام بسبب خُلُقه الكريم ﷺ سواء كان ذلك الخُلُق الحسن الكريم: من جوده، أو كرمِهِ، أو عفوهِ، أو صفحِهِ، أو حلمِهِ، أو أناتِهِ، أو رفقِهِ، أو صبرِهِ، أو تواضُعِهِ، أو عدلِهِ، أو رحمتِهِ، أو منِّهِ، أو شجاعته وقوَّتِهِ، أو غير ذلك من مكارم الأخلاق.

ومن تتبَّع سيرةَ النبيِّ ﷺ وجد أنه كان يلازم الخُلُق الحسن في سائر أحواله، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجاً، بفضل الله ثم بفضل حُسْنِ خُلُقِهِ ﷺ ، فكم دخل في الإسلام بسبب حُسْنِ خُلُقِهِ ﷺ .

فهذا ثُمامةُ بن أُثال يُسلِمُ بسبب عفو النَّبيِّ ﷺ ، ويقول: (والله ما كان على وجه الأرض وجهٌ أبغض إليَّ من وجهِكَ، فقد أصبح وجهُك أحب الوجوهِ كلِّها إليّ، واللهِ ما كانَ على وجه الأرض دينٌ أبغضَ إليّ من دينِك،

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧ .
(٢) سورة الأعراف: الآية: ١٥٨ .
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٢٩ .
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤ .
(٥) مسند أحمد بترتيب البناء، ١٢/ ٢٢٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٣/ ٢٦٦: ((رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح)).

وقد أصبحَ دينُك أحبّ الأديانِ كلِّها إليّ، والله ما كان على وجه الأرض بلادٌ أبغض إليَّ من بلادك، فأصبح بلدك أحبّ البلاد كلِّها إليّ)[1].

وهذا أعرابي يقول: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً؛ لأنه تأثر بعفو النبيِّ ﷺ عندما بال هذا الأعرابي في المسجد، ولم يتركه على تحجيرِهِ رحمة الله التي وسعت كل شيء؛ بل قال له ناصحاً ومُعلّماً ﷺ: «**لقد حجَّرتَ واسعاً**»[2].

وذاك معاوية بن الحكم يرفق به النبيُّ ﷺ في تعليمه، فيقول: (فبأبي هو وأمي ما رأيتُ مُعلّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، والله ما كهرني، ولا ضربني ولا شتمني)[3]، وأعطى ﷺ رجلاً غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قومي أسلموا؛ فإن محمداً يُعطي عطاءً لا يخشى الفاقة)[4].

وهذا صفوان ابن أمية من صناديد قريش الكفرة يعطيه النبي ﷺ مائة من الغنم ثم مائة، ثم مائة، فيقول صفوان: (والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليَّ، فما بَرِحَ يُعطيني حتى إنه لأحبُّ الناس إليَّ). وهذا سببُ إسلامِ صفوان[5].

ومُشركٌ كافرٌ آخرُ يُريدُ قتل النبيِّ ﷺ بالسيف فيعصم الله رسوله ﷺ منه ويعفو عنه النبي ﷺ[6]. فيرجع إلى قومه ويُسلم، ويدعوهم إلى الإسلام فأسلم من قومه على يديه خَلْقٌ كثير[7].

وهذا عبد الله بن سلام اليهودي الحبر العالم من علماء اليهود يأتي إلى النبي ﷺ عند قدومه إلى المدينة يقول عبد الله ﷺ: فجئتُ في الناس، لأنظر، فلما تبيّنتُ وجهَهُ عَرفْتُ أن وجهه ليس بوجه كذّاب، فكان أوّل شيء سمعته يقول: «**يا أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعِمُوا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصَلّوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام**»[8].

وهذا زيد بن سعية اليهودي يختبر النبي ﷺ فيعفو عنه النبي ﷺ ويأمر عمر أن يعطيه عطاءً، فيقول زيد اليهودي الحبر: ما من علامات النبوة شيءٌ إلا وقد عرفتُها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرتُ إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمُهُ جهلَه، ولا تزيده شدَّةُ الجهلِ إلا حلماً، وقد اختبرتُهما فأشهدك يا عمرَ أني قد رضيتُ بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيّاً، وأشهدك أنّ شطر مالي صدقة على أمة محمدٍ ﷺ[9].

وهذا يهودي آخر يقول عند الموت: والذي أنزل التوراة إنّا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد أن لا

---

(١) البخاري، برقم ٤٣٧٢، ومسلم ١٧٦٤ .
(٢) البخاري، برقم ٦٠١٠ .
(٣) مسلم، برقم ٥٣٧ .
(٤) مسلم، برقم ٢٣١٢ .
(٥) مسلم، برقم ٢٣١٣ .
(٦) البخاري مع الفتح، ٦/ ٩٦، ٩٧، برقم ٢٩١٠، ومسلم، ٤/ ١٧٨٦، برقم ٨٤٣ .
(٧) فتح الباري لابن حجر، ٧/ ٤٢٨، وشرح النووي، ١٥/ ٤٤ .
(٨) الترمذي، برقم ٢٤٨٥، وابن ماجه، برقم ٣٢٥١، وانظر: صحيح الترمذي ٢/ ٣٠٣.
(٩) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ١/ ٥٦٦ .

إله إلا الله وأنّك رسول الله[1].

وهذا مَلِكُ النصارى النجاشي في الحبشة عندما سمع دعوة النبي ﷺ وقوله: إن عيسى عبد الله ورسوله فقال لوفد النبيِّ ﷺ: مرحباً بكم، وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسولُ الله، وأنه الذي بشّر به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الـمُلْكِ لأتيتُه حتى أُقَبِّلَ نَعْلَهُ[2].

وهذا هرقلُ عظيم الروم النصراني، يقول لأبي سفيان حينما قال له: إن النبي ﷺ لا يغدر، وأنه يأمر بعبادة الله وحده، وعدم الشرك به، وينهى عن عبادة الأوثان، ويأمر بالصلاة، والصدق، والعفاف، قال هرقل لأبي سفيان: فإن كان ما تقولُ حقّاً فَسَيَمْلِكُ موضعَ قدميَّ هاتين، وقد كُنتُ أعلمُ أنه خارجٌ لم أكن أظنُّ أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلصُ إليه لتجشّمتُ لقاءَهُ، ولو كُنتُ عنده لغسّلتُ عن قدمه[3].

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[4] وصدق النبي الكريم إذ يقول: «**إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّم مكارم الأخلاق**»[5].

وسُئِلَتْ عائشةُ رضي الله عنها عن خُلُق النبيِّ ﷺ ؟ فقالت: (**فإن خُلُقَ نبيِّ الله ﷺ كان القرآنُ**)[6].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[7] بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أحمد، ٥/ ٤١١، وقوّاه ابن كثير في تفسيره، ٢/ ٢٥٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١/ ٤٣٨ .

(٣) البخاري، برقم ٧ .

(٤) سورة القلم، الآية: ٤ .

(٥) البيهقي، ١٠/ ١٩٢، وأحمد، ٢/ ٣٨١، وانظر: الصحيحة للألباني برقم ٤٥ .

(٦) مسلم، برقم ٧٤٦ .

(٧) سورة التوبة، الآية: ١٢٨ .

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

عباد الله!اتقوا الله تعالى، واقتدوا بنبيكم الكريم الرحيم، فإن الله تعالى أرسله رحمة للعالمين، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾(١)، وعن أبي هريرة ﷺ ، قال: قيل: يا رسول الله! ادعُ على المشركين، قال: «**إني لم أُبعث لعّاناً وإنما بُعثت رحمة**»(٢). وفي حديث حذيفة ﷺ ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**أيُّما رجل من أمتي سببته سبةً أو لعنته لعنةً في غضبي فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين، فاجعلها عليهم صلاةً يوم القيامة**»(٣).

وجاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ ، أنه قال: «**إنما أنا رحمة مهداةٌ**»(٤).

وقد قال ﷺ : «**أنا محمد، وأحمد، والمقفِّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة**»(٥).

عباد الله! إن العبد المسلم مأمور بالاقتداء بهذا الرسول الرحيم ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾(٦)، هذا وصلوا على الرحمة المهداة كما أمركم الله تعالى بذلك فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾(٧)، وقال النبي ﷺ : «**مَن صلّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً**»(٨)، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وارضَ اللهم عن أصحابه: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعَنّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، واحمِ حوزة الدين، اللهم آمِنّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا، وجميع ولاة أمر المسلمين. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. اللهم اغفر لأمواتنا وأموات المسلمين، وأعذهم من عذاب القبر وعذاب النار، برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نسألك الهدى والتُّقى، والعفاف والغنى، اللهم اهدنا وسددنا، ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾(٩)، عباد الله! ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾(١٠)، فاذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿ **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾(١١).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧ .
(٢) مسلم، برقم ٢٥٩٩.
(٣) أبو داود، برقم ٤٦٥٩، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٣/ ١٣٤ .
(٤) رواه ابن سعد، ١/ ١٩٢، وابن أبي شيبة ١١/ ٥٠٤، والحاكم، ١/ ٣٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة بطرقه، برقم ٤٩٠.
(٥) مسلم، برقم ٢٣٥٥ .
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٢١ .
(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦ .
(٨) مسلم، برقم ٣٨٤ .
(٩) سورة البقرة، الآية : ٢٠٢ .
(١٠) سورة النحل : الآية : ٩٠ .
(١١) سورة العنكبوت: الآية : ٤٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون وفضل صيام عاشوراء

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

عباد الله اتقوا الله تعالى، واعلموا أن نبيكم ﷺ شرع لكم ما يرفع الله به درجاتكم، ومما شرع ﷺ لكم صيام شهر الله المحرم، وآكد الصيام في شهر المحرم صيام يوم عاشوراء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **أفضل الصيام بعد رمضان صيام شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل** »(١).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « ... **ثلاثٌ من كل شهر، ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله، وصيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفِّر السنة التي قبله، والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفِّر السنة التي قبله** »(٢). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: « كانت قريش تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلما هاجر إلى المدينة صامه... » الحديث(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله: إنه يومٌ تعظِّمه اليهودُ والنصارى، فقال: « **لئن بقيتُ إلى قابلٍ لأصومنَّ التاسع** » يعني مع العاشر، فلم يأتِ العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ(٤).

وعن ابن عباس رضي اله عنهما قال: قدِمَ رسول الله ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون يومَ عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: « **ما هذا اليوم الذي تصومونه؟** » قالوا: هذا يومٌ عظيمٌ أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرَّق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: « **فنحن أحقُّ وأولى بموسى منكم** » فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه(٥).

لقد طغى فرعون كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(٦). وتلك الطائفة المستضعفة هم بنو إسرائيل، وبلغت بهِ الحالُ إلى أنه يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم خوفاً من أن يَكْثُروا فيغلبوه ويصير لهم المُلكُ، فأراد الله عز وجل أن يَمُنَّ على هؤلاء المستضعفين ويجعلهم ﴿ أَئِمَّةً ﴾ ويجعلهم ﴿ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ (٧) للأرض ويمكن ﴿ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ويري ﴿ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾(٨)

---

(١) مسلم برقم (١١٦٣).

(٢) مسلم برقم (١١٦٢).

(٣) البخاري برقم (٢٠٠٢)،ومسلم برقم (١١٢٥).

(٤) مسلم برقم (١١٣٤).

(٥) البخاري برقم (٢٠٠٤)، ومسلم برقم (١١٣٠).

(٦) سورة القصص، الآية: ٥.

(٧) سورة القصص، الآية: ٤.

(٨) سورة القصص، الآية: ٦.

من هذه الطائفة الضعيفة، من إخراجهم من ديارهم. وأوَّل ما أوجد الله من الأسباب الدالةِ على قُدرته أنه أوجد موسى في الوقت الذي يُذبح فيه الأبناء، فأوحى الله إلى أمه أن ترضعه ويمكث عندها ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ ﴾[1]. وبشرها بأنه سيرده إليها وأنه سَيَكْبُرُ ويجعله الله رسولاً ويسلمُ من كيدهم. وعندما خافت عليه أمه جعلته في تابوتٍ وألقته في نهر النيل بمصر، فساقه الله إلى آل فرعون ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[2]، وهذا يبين أن الحذَرَ لا ينفعُ من القدر، وأن الذي خافوا منه من بني إسرائيل قَدَّرَ الله أن يتربى تحت أيديهم، وفي كفالتهم، فيكون من كبار المملكة وهذا فيه نفع لبني إسرائيل. فلما التقطه آل فرعون حنَّنَ الله امرأة فرعون الفاضلة الجليلة المؤمنة آسية بنت مزاحم وقالت هذا الولد ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[3]. وقدَّر الله أن ينفع به هذه المرأة التي أحبته ثم أسلمت على يده عندما أُرسل عليه الصلاة والسلام، وبعد أن ألقته أمه في اليمِّ أصبح فؤادُها فارغاً وحزنت حزناً شديداً، ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي ﴾ بما في قلبها لولا أن ربط الله على قلبها وثبَّتها فصبرت؛ ﴿ لِتَكُونَ ﴾ بذلك الصبر والثبات ﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، وقالت أمه لأخته اذهبي فقصيه وابحثي عنه من غير أن يحسَّ بك أحدٌ، فذهبت فأبصرته على وجهٍ كأنها مارَّةٌ لا قصدَ لها فيه، ومن لُطف الله بموسى وأمه أنه منعه من قبول ثدي أي امرأةٍ، فأخرجوه إلى السوق لعل أحداً أن يطلبه، فجاءت أخته وهو بتلك الحال فقالت: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾[4] فبادروا إلى ذلك ودلتهم على أهل البيت فتربى عند أمه وأخذت الأجر الكثير على ذلك، واستمر موسى عند آل فرعون يتربى في سلطانهم ويركب مراكبهم ويلبس ملابسهم، ولما بلغ قُوَّتَه وعقله الكامل وَكَمُلت فيه تلك الأمور أعطاه الله حكماً يعرف به الأحكام الشرعية، وقدر الله أنه دخل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾، أحدهما من بني إسرائيل والآخر قُبْطِيٌّ، فاستغاثه الإسرائيلي فقتل موسى العدو، فعلم موسى أنه من عمل الشيطان فتاب إلى الله واستغفر فغفر له، ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا ﴾، ثم وجد من استنصره بالأمس يستصرخه على قبطي آخر، فلما أراد موسى أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ﴾ فانكف موسى عن قتله، وشاع الخبر بما جرى من موسى في هاتين القضيتين حتى أراد فرعون قتله، فقيض الله رجلاً صالحاً وجاء يسعى رَكْضاً إلى موسى فأخبره بأنهم يتشاورون في قتله، فخرج موسى عليه الصلاة والسلام وهو خائف يتوقع القتل، ودعا الله أن ينجيه ﴿ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، وعندما توجه قاصداً بوجهه مدين، وهو جنوب فلسطين حيث لا مُلكَ فيه لفرعون، وسأل الله أن يهديه وسط الطريق المختصر الموصل إليها، ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ مواشيهم، ووجد دون تلك الأُمة امرأتين تذودان غنمهما عن حياض الناس، فسألهما موسى عن شأنهما فأخبرتاه أن العادة قد جرت أنه لا يحصل لهما سقيٌ حتى يُصدرُ الرعاءُ مواشيهم، وأبونا شيخ كبير، فرحمهما موسى وسقى لهما، فلما سقى لهما وكان ذلك

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧.

(٢) سورة القصص، الآية: ٨.

(٣) سورة القصص، الآية: ٩.

(٤) سورة القصص، الآية: ١٢.

وقت شدة حرٍّ، فدعا الله تعالى بحاله وقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ ثم ذهبتا المرأتان إلى أبيهما وأخبرتاه الخبر، فأرسل أبوهما إحداهما إلى موسى ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾، وأخبرته أن أباها يدعوه ليجزيه أجر ما سقى لهما، فجاء وقص الخبر، ثم عرض عليه أن ينكحه إحدى ابنتيه على أن يرعى غنمه ثمان سنوات وإن أتم عشراً فمن عنده، فلما قضى موسى الأجل، وظن من طول المدة أن آل فرعون تناسوا ما صدر منه، فسار بأهله قاصداً مصر، وأبصر من جانب الطور ناراً وكان قد أصابهم البرد وتاهوا الطريق، ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ وأخبره الله بألوهيته وربوبيته، وأمره أن يلقي عصاه، فلما ألقاها فإذا هي حية تسعى كأنها جان، وأمره أن يُدخل يده في جيبه ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾، وأخبره تعالى أن انقلاب العصا وخروج اليد بيضاء من غير سوء حجتان قاطعتان من الله إلى فرعون وملأه، وقال له: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾[1]. فقال موسى: ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ۝٢٦ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ۝٢٨ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَـٰرُونَ أَخِي ﴾[2]. فأعطاه الله ما سأل، وأمره أن يذهب إلى فرعون ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[3]. فجاء موسى وهارون إلى فرعون فدعاه موسى إلى الله، ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[4]. وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِي ﴾[5]، وأخبره موسى أنه جاءهم ببينة من الله تعالى فقال فرعون: ﴿ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝١٦ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝١٧ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾[6].ثم جمع فرعون السحرة من مملكته؛ لأنهم اعتبروا ما جاء به موسى سحر﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾[7]. ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ۝١١٣ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[8]. وقد واعدوا موسى بأن يأتوه بسحر مثل سحره فقال موسى ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾[9]. وإنما واعدهم موسى يوم عيدهم ووقت الضحى يحصل فيه كثرة الاجتماع، ثم جاء السحرة إلى موسى في الوقت المحدد وقالوا: ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ۝١١٥ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[10]. ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ

---

(١) سورة طه، الآية: ٢٠.

(٢) سورة طه، الآيات: ٢٥ – ٣٠.

(٣) سورة طه، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

(٤) سورة النازعات، الآيات: ٢١ – ٢٤.

(٥) سورة القصص، الآية: ٣٨.

(٦) سورة الأعراف، الآيتان: ١٠٦ – ١٠٨.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٠٩.

(٨) سورة الأعراف، الآيتان: ١١٣، ١١٤.

(٩) سورة طه، الآية: ٥٩.

(١٠) سورة الأعراف، الآيتان: ١١٥، ١١٦.

أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[1]. فألقى موسى عصاه ﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾[2].

وبعد أن آمن السحرة واستكبر فرعونُ وقومُهُ وعتَى في الأرض فساداً سأل اللهَ مُوسى أن يتلف أموالهم، وأن يُقَسِّي قلوبهم حتى يروا العذاب الأليم ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾[3]. فاستجاب الله لموسى وهارون، وأمر الله موسى أن يسري ببني إسرائيل ليلاً وأخبره أنهم سيتبعونهم ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾[4]. ثم جاء فرعون ومن معه بجنوده ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾[5]. فلما خرج موسى وقومه ودخل فرعون وقومه أمر الله البحر فالتطم على فرعون فذكر الله قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[6].

فهذه قصة عظيمة فيها عبرة لأولي الألباب ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[7].

فيستحب يا عباد الله صيام هذا اليوم شكراً لله تعالى، فقد صامه موسى شكراً لله، وصامه نبينا محمد ﷺ وشرع صيامه لأمته.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾[8].

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة طه، الآيات: ٦٦ – ٦٩.

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ١١٧ – ١٢٢.

(٣) سورة يونس، الآية: ٨٨.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ٥٣ – ٥٥.

(٥) سورة الشعراء، الآيات: ٦٠ – ٦٣.

(٦) سورة يونس، الآيتان: ٩٠، ٩١.

(٧) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٨) سورة النازعات، الآيات: ١٥ – ٢٦.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى أله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فيا عباد الله بادروا بصيام هذا اليوم العظيم يوم عاشوراء، الذي يكفِّر الله به سنة ماضية من الذنوب، وصامه نبيكم ﷺ في الجاهلية والإسلام، وصيامه كما ذكر ابن القيم على ثلاث مراتب:

* صيام ثلاثة أيام: التاسع والعاشر والحادي عشر. وهذا يحصل به صيام ثلاثة أيام من الشهر المحرم الذي صيامه أفضل الصيام بعد رمضان، ويحصل به مخالفة أهل الكتاب في صومهم، ويحصل به صيام يوم عاشوراء يقيناً لا شك فيه.
* المرتبة الثانية: صيام التاسع والعاشر؛ لأن النبي ﷺ تمنى ذلك ولم يدركه.
* المرتبة الثالثة: صيام يوم العاشر وحده؛ للحصول على تكفير السنة الماضية.

وصلوا على خير خلق الله نبينا محمد بن عبدالله ﷺ تسليماً كثيراً.

اللهم صلِّ وسلم عليه وارض عن أصحابه أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعلى سائر أصحاب نبيك أجمعين، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، واغفر لموتانا وموتى المسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين.

عباد الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[1]. فاذكروا الله تعالى يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾[4].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل صيام يوم عرفة وأحكام الأضاحي وآداب العيد

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فيا عبادَ الله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾(١).

أيها الناس أنتم في أيام عظيمة عظم الله شأنها وأقسم بها في كتابه الكريم فقال: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾(٢). وقال النبي ﷺ في فضلها: «**ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر**» قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**» [رواه البخاري والترمذي واللفظ له] (٣). وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه من العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن: من التهليل، والتكبير، والتحميد**» [رواه أحمد] (٤). ومن أعظم الأعمال الصالحة في أيام عشر ذي الحجة الصيام؛ لقول النبي ﷺ: «**ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً**» [متفق على صحته] (٥)، وآكد الصيام وأفضله في عشر ذي الحجة صيام يوم عرفة لغير الحاج؛ لقول النبي ﷺ: «**... صيامُ يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده...**» (٦).

وينبغي للمسلم إذا كان عليه قضاءٌ من صيام الفرض أن يبادر إليه قبل يوم عرفة؛ لأن صيام الفرض مقدمٌ على صيام التطوع؛ وليحصل على فضل هذا الصيام العظيم في هذا اليوم العظيم.

ومن الأعمال العظيمة في عشر ذي الحجة وفي أيام التشريق كذلك التقرب إلى الله تعالى بذبح الأضحية أو نحرها: من الغنم، أو الإبل، أو البقر؛ وسُمِّيت بذلك والله أعلم؛ لأن أفضل زمنٍ لذبحها

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة الفجر، الآيات: ١ - ٥.

(٣) البخاري برقم (٩٦٩)، والترمذي (٧٥٧).

(٤) أحمد برقم (٥٤٤٦، ٦١٥٤)، وصححه أحمد شاكر.

(٥) البخاري برقم (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).

(٦) مسلم برقم (١١٦٢).

أو نحرها ضحى يوم العيد، والأضحية مشروعة بالكتاب بقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[1]. وأما السنة؛ فلحديث أنس رضي الله عنه قال: «**ضحَّى النبي ﷺ بكبشين، أملحين، أقرنين، ذبحهما بيده، وسمَّى وكبَّر ووضع رجله على صفاحهما**». وفي لفظ لمسلم ويقول: «**بسم الله والله أكبر**». وفي لفظ للبخاري: قال أنس رضي الله عنه: «**كان النبي ﷺ يضحِّي بكبشين، وأنا أضحي بكبشين**»[2]. وقد أجمع المسلمون على مشروعية الأضحية، وهي سنة أبينا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، حين فدى الله ولده بذبحٍ عظيم وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3]. والأضحية قيل: بأنها واجبة والصواب أنها سنة مؤكدة جداً لا ينبغي تركها لمن يقدر عليها، وعلى هذا أكثر أهل العلم؛ لأن النبي ﷺ كان يضحي كل سنة، فهي سنة من قوله وفعله عليه الصلاة والسلام، والأحوط للمسلم أن لا يترك الضحية إذا كان موسراً له قدرة عليها اتباعاً لسنة النبي ﷺ: القوليَّة، والفعليَّة، والتقريريَّة، وبراءة للذمة، وخروجاً من الخلاف عند من قال بالوجوب.

ولا تكون الأضحية على هدي رسول الله ﷺ إلا باجتماع شروطها، وانتفاء موانعها، وشروطها أربعة: أن تكون مِلكاً للمضحي، مَلَكَها بطريقٍ مشروع، وأن تكون من بهيمة الأنعام: من الإبل، أو البقر، أو الغنم، وأن تبلغ السن المعتبرة شرعاً، فلا يجزئ إلا الجذع من الضأن وهو ما له ستة أشهر ودخل في السابع، والثني من غيرها فيجزئ المعز الذي تمت له سنة ودخل في الثانية، والإبل إذا أتمت خمس سنين ودخلت في السادسة، والبقر إذا صار لها سنتان ودخلت في الثالثة؛ لقول النبي ﷺ: «**لا تذبحوا إلا مسنَّة**»[4]، والمسنة هي الثنية، والجذع من الضأن مستثنىً من المسنة. ومن الشروط أن تكون الأضحية سليمة من العيوب المانعة من الإجزاء، ومن هذه العيوب ما ثبت في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «**أربعٌ لا تجوز في الأضاحي: العوراءُ البيِّنُ عورُها،**

---

(١) سورة الكوثر، الآية: ٢.

(٢) البخاري برقم (٥٥٥٣)، ومسلم برقم (١٩٦٦).

(٣) سورة الصافات، الآيات: ١٠١ - ١١٠.

(٤) مسلم برقم (١٩٦٣).

والمريضة البيِّنُ مرضها، والعرجاءُ البيِّنُ ظلعُها، والكسيرة التي لا تنقى»[1]. فالعوراء البيِّن عورها: هي التي انخسفت عينها أو برزت، والمريضة البيِّن مرضها: هي التي ظهر عليها آثار المرض، والعرجاء البيِّن عرجها: هي التي لا تستطيع مرافقة السليمة، والكسيرة: هي الهزيلة، ومعنى التي لا تنقى: أي التي ليس فيها مخ. ويُلحق بهذا الأربع: ما كان عيبه أعظم وأكبر من هذه العيوب: كالعمياء، ومقطوعة إحدى اليدين، وما شابه ذلك. وقد أضاف بعض العلماء نوعاً خامساً في عدم الإجزاء وهي العضباء: وهي ما ذهب نصف قرنها أو أذنها واحتجوا بحديث علي رضي الله عنه: «**نهى رسول الله ﷺ أن نضحِّي بعضباء القرن والأذن**» [رواه أهل السنن وأحمد] [2]. والعضب ما بلغ النصف فما فوق، واختاره الإمام الخرقي في مختصره، وابن قدامة، والشوكاني، وابن باز وغيرهم وهذا هو الأبرأ للذمة أن لا يُضحى بأعضب القرن والأذن خروجاً من خلاف العلماء.

ويكره في الأضاحي: المقابلة، وهي التي شقت أذنها من الأمام، والمدابرة وهي التي شقت أذنها من الخلف عرضاً، والشرقاء: التي شقت أذنها طولاً، والخرقاء: التي خرقت أذنها؛ لما روى علي رضي الله عنه مرفوعاً: «**أمرنا رسول الله ﷺ: أن نستشرف العين والأذن، وأن لا نضحي بمقابلة، ولا مدابرة، ولا شرقاء، ولا خرقاء**»[3]. والأفضل أن يُختار أكمل الأضاحي؛ لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمر بكبش أقرن: يطأ في سواد، ويبرك في سواد، وينظر في سواد، فأُتي به.. ثم ذبحه، ثم قال: «**بسم الله، اللهم تقبَّل من محمد وآل محمد ومن أمة محمد**» ثم ضحَّى به. [رواه مسلم] [4]. وعن عائشة رضي الله عنها: «**أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يضحي اشترى كبشين، عظيمين، سمينين، أقرنين، أملحين، موجوءين، فذبح أحدهما عن أمته، لمن شهد لله بالتوحيد، وشهد له بالبلاغ، وذبح الآخر عن محمد وعن آل محمد**». رواه ابن ماجه[5].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ يضحي بكبشٍ: أقرن، فحيل، ينظر في**

---

(١) أبو داود، برقم (٢٨٠)، والترمذي برقم (١٤٩٧)، والنسائي برقم (٤٣٦٩)، وابن ماجه (٤١٤٤)، وصححه الألباني.

(٢) الترمذي برقم (١٥٠٤)، وأبو داود برقم (٣١٤٥)، وأحمد (١/ ١٢٩)، وصحح إسناده أحمد شاكر، وضعفه الألباني، وصححه الإمام ابن باز رحمه الله.

(٣) الترمذي، برقم (١٤٩٨)، ورقم (١٥٠٣)، واللفظ له، والنسائي برقم (٤٣٧٢)، وأبو داود برقم (٤٨٠٤)، وابن ماجه برقم (٣١٤٢)، ورقم (٣١٤٣)، وأحمد برقم (٨٣٢)، ورقم (٧٣٤، ٨٢٦)، وصحح إسناده أحمد شاكر، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٤/ ٣٦٢).

(٤) مسلم برقم (١٩٦٧).

(٥) ابن ماجه برقم (٣١٢٢) وصححه الألباني.

سواد، ويأكل في سواد، ويمشي في سواد» [رواه الأربعة إلا ابن ماجه] [1]. وكان الصحابة يُسمِّنون الأضاحي، قال أبو أمامة رضي الله عنه: «**كنا نسمِّن الأضحية بالمدينة، وكان المسلمون يسمِّنون**» [رواه البخاري] [2]. وهذا من تعظيم شعائر الله ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[3]. وغير ذلك من الصفات الحسنة التي تزيد الأضحية كمالاً، وجمالاً؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً[4]، وقد كان النبي ﷺ يضحي بكبشين، فإذا أراد أحد أن يضحي بكبشين تأسياً بالنبي ﷺ فلا حرج؛ ولهذا قال أنس رضي الله: «**كان النبي ﷺ يضحي بكبشين وأنا أضحي بكبشين**». [متفق على صحته].

ويبدأ وقت ذبح الأضحية بعد صلاة العيد من يوم الأضحى، فـ«**من ذبح قبل الصلاة فإنما ذبح لنفسه، ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين**»[5]. ويمتد الذبح إلى غروب شمس اليوم الثالث عشر من أيام التشريق، فيكون الذبح أربعة أيام: يوم النحر، وثلاثة أيام التشريق. والشاة الواحدة تجزئ عن الرجل وأهل بيته، والبدنة من الإبل تجزئ عن سبعة، والبقرة عن سبعة؛ لحديث جابر رضي الله عنه قال: «**خرجنا مع رسول الله ﷺ مُهلِّين بالحج فأمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك في الإبل والبقر كل سبعة منَّا في بدنة**». وفي لفظ: «**حججنا مع رسول الله ﷺ فنحرنا البعير عن سبعة، والبقرة عن سبعة**»[6].

ويأكل من أضحيته، ويتصدَّق، ويدَّخر؛ لقول الله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾[7]؛ ولحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ: «**كلوا، وأطعموا، واحبسوا أو ادخروا**»[8]. وعن عبدالله بن واقد رضي الله عنه في بيان الأكل من الأضاحي عن النبي ﷺ: «**فكلوا، وادخروا، وتصدَّقوا**»[9].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[10]. بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعني وإيَّاكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أبو داود برقم (٢٧٩٦)، والترمذي برقم (١٤٩٦)، والنسائي برقم (٤٤٠٢).

(٢) البخاري برقم (٥٥٥٣).

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٢.

(٤) فقد ثبت في أضحية النبي ﷺ اثنا عشرة صفة: كبش، أقرن، أملح، قوائمه سود، بطنه أسود، ما حول عينيه أسود، وما حول فمه أسود، عظيم، موجوء، سمين، فحيل، ثمين.

(٥) البخاري برقم (٥٥٤٦)، ومسلم (١٩٦٢).

(٦) مسلم برقم (١٣١٨).

(٧) سورة الحج، الآية: ٢٨.

(٨) البخاري برقم (٥٥٦٩)، مسلم برقم (١٩٧٤).

(٩) مسلم برقم (١٩٧١).

(١٠) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: اختموا هذه العشر المباركة بالاجتهاد في باقيها؛ فإن الأعمال بالخواتيم، واستقيموا بعدها على طاعة الله، واحذروا من معاصيه، واعلموا أن كثيراً من الناس يقعون في منكراتٍ يوم العيد، ومنها: أن بعضهم يدعو الأموات ويطوف بالقبور تعظيماً لها، وهذا من الشرك الذي حرَّمه الله تعالى وأوجب لصاحبه الخلود في النار. ومنها: الكبر واحتقار الناس. ومنها الإسبال في الثياب، والمشالح، والسراويل تحت الكعبين؛ فإن ما أسفل من الكعبين في النار، والله تعالى لا ينظر إلى مسبل إزاره، ولا يكلِّمه، ولا يُزكِّيه يوم القيامة، وله عذاب أليم[1]. **والله عز وجل لا يحب المسبلين**[2]، ومن المنكرات ضرب المزامير والمعازف الغنائية، وهذا ينبت النفاق في القلوب، كما ينبت الماء الزرع. ومن المنكرات حلق اللحى وتقصيرها ومعصية النبي ﷺ بذلك. ومنها مصافحة النساء من غير المحارم. ومن المنكرات: التشبُّه بالكفار والمشركين في الملابس والأعياد وغير ذلك، ومنها تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وقد لعن رسول الله ﷺ من فعل ذلك، ومن المنكرات في الأعياد الخلوة بالمرأة الأجنبية، وتبرُّج النساء وخروجهن من البيوت إلى الأسواق، ومن المنكرات التبذير والإسراف، والله تعالى لا يحب المسرفين، ومن المنكرات قطيعة الأرحام وعدم الاعتناء بالفقراء والمساكين.

فاتقوا الله يا عباد الله، واتقوا غضبه وسخطه، وعقابه، والتزموا بطاعته تعالى.

هذا وصلوا على خير خلق الله نبينا محمد بن عبدالله ﷺ، ورضي عن أصحابه: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر أصحاب نبينا أجمعين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وانصر عبادك المؤمنين، اللهم اجعلنا لك طائعين ولنبيك متبعين، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم تقبَّل منَّا، واغفر لنا، وارحمنا، واعفُ عنَّا، ياذا الجلال والإكرام. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. اللهم اغفر لأمواتنا وأموات المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[3]. فاذكروا الله تعالى يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾[4].

---

(١) مسلم برقم (١٠٦).

(٢) أحمد (٤/ ٢٤٦، ٢٥٠)، وسمعت الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله يقول: إسناده جيد.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل العشر الأول من ذي الحجة والعمل فيهن

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

عباد الله اتقوا الله تعالى واعلموا أن الله تعالى خلقكم لحكمةٍ عظيمةٍ، وهي عبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ** ﴾(١). فالله تعالى خلق هذا الإنسان وأمره بعبادته، وتكفَّل برزقه، ومادام الأجلُ باقياً فالرزق آتياً؛ ولهذا جعل الله للجنين في بطن أمه طريقاً واحداً لرزقه، وهو السر، فإذا خرج جعل له طريقين. وهما الثديان، فإذا فُطِم جعل له أربعة طرق: طعامان وشرابان: فالطعامان: لحوم بهيمة الأنعام وما أحل الله تعالى من صيد البر والبحر، والخارج من الأرض من الحبوب والثمار، وأما الشرابان: فلبن بهيمة الأنعام، والماء، فإذا مات وكان مؤمناً جعل الله له ثمانية طرق وهي أبواب الجنة الثمانية، وقبل تلك الأبواب يُبشَّرُ بالنعيم المقيم(٢).

ومن مواسم هذه العبادة أيام عشر ذي الحجة، وفضلها عظيم بيَّنه الله تعالى في كتابه، وبيَّنه رسوله محمد ﷺ في سنته:

* فهي الأيام التي أقسم الله تعالى بها في كتابه بقوله: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾(٣) وهي عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وابن كثير، وابن القيم، وغير واحد من السلف والخلف(٤).
* وهي الأيام التي يكون العمل فيها أفضل من الجهاد في سبيل الله تعالى؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر** » قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: « **ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء** ». [رواه البخاري، والترمذي واللفظ له](٥).
* وهي أيام عظيمة عند الله والأعمال فيها أحب إليه فيهن؛ لحديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن

---

(١) سورة الذاريات، الآيات: ٥٦، ٥٨.

(٢) معنى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى.

(٣) سورة الفجر، الآيتان: ١، ٢.

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ١٠٦)، وزاد المعاد (١/ ٥٦).

(٥) البخاري برقم (٩٦٩)، والترمذي برقم (٧٥٧).

النبي ﷺ قال: «**ما من أيام أعظم عندالله ولا أحب إليه من العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن: من التهليل، والتكبير، والتحميد**» [رواه أحمد] (١).

* وهي أيامٌ أفضل من أيام عشر رمضان الأخيرة؛ فإن الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى قال: «...ليالي العشر الأخير من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة، وأيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام عشر رمضان؛ وبهذا يزول الاشتباه، ويدلُّ عليه أن ليالي العشر من رمضان إنما فُضِّلت باعتبار ليلة القدر، وهي من الليالي، وعشر ذي الحجة فُضِّل باعتبار أيامه؛ إذ فيه: يوم النحر، ويوم عرفة، ويوم التروية» (٢).

* وهي الأيام التي فيهن يومان هما أفضل أيام العام: يوم النحر ويوم عرفة؛ لحديث عبدالله بن قُرْطٍ الثمالي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن أعظم الأيام عند الله تعالى: يوم النحر، ثم يوم القرِّ**» [رواه أبو داود وأحمد بسند صحيح] (٣). ويوم القرِّ هو حادي عشر ذي الحجة؛ لأن الناس يقرُّون فيه بمنى؛ لأنهم قد فرغوا في الغالب: من طواف الإفاضة، والنحر، واستراحوا وقرُّوا.

وأما يوم عرفة؛ فلحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: إن رسول الله ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟**» [رواه مسلم] (٤). وقال ﷺ: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة...**» [رواه الترمذي] (٥). وقال ﷺ: «**صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفِّر السنة التي قبله والسنة التي بعده...**» [رواه مسلم](٦). وهذا لغير الحاج، أما الحاج فالسُّنة في حقه الإفطار ليتقوَّى على الدعاء والذكر اقتداء برسول الله ﷺ؛ فإنه كان مفطراً يوم عرفة. وأما قول النبي ﷺ في يوم الجمعة: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة...**» [رواه مسلم] (٧). فقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «والصواب أن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، ويوم عرفة ويوم النحر أفضل أيام العام، وكذلك ليلة القدر، وليلة الجمعة...» (٨). أي ليلة القدر أفضل ليالي السنة، وليلة الجمعة أفضل ليالي الأسبوع. وصوَّب ابن القيم رحمه الله تعالى أن يوم الحج الأكبر هو يوم النحر؛ لأن الحديث الدال على ذلك لا يعارضه

---

(١) أحمد برقم (٥٤٤٦، ٦١٥٤) وصححه أحمد شاكر (٧/ ٤٤).

(٢) زاد المعاد (١/ ٥٧).

(٣) أبو داود برقم (١٧٦٥)، وأحمد (٤/ ٣٥٠)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١/ ٤٩٤)، والحاكم (٤/ ٢٢١)، ووافقه الذهبي.

(٤) مسلم، برقم (١٣٤٨).

(٥) الترمذي، ومالك، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٣/ ١٨٤).

(٦) مسلم برقم (١١٦٢).

(٧) مسلم برقم (٨٥٤).

(٨) زاد المعاد (١/ ٦٠).

شيء يقاومه، قال الله تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾[1]. وثبت في الصحيحين: أن أبا بكر وعلياً أذَّنا بذلك يوم النحر، لا يوم عرفة[2]. وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**يوم الحج الأكبر يوم النحر**»[3]. قال ابن القيم بأصح إسناد[4]. قال رحمه الله: «ويوم عرفة: مقدمة ليوم النحر بين يديه؛ فإن فيه يكون الوقوف، والتضرُّع، والتوبة، والابتهال، والاستقالة، ثم يوم النحر تكون الوفادة والزيارة؛ ولهذا سُمِّي طوافه طواف الزيارة؛ لأنهم قد طُهِّروا من ذنوبهم يوم عرفة، ثم أَذِنَ لهم ربهم يوم النحر في زيارته، والدخول عليه إلى بيته»[5].

والأعمال في عشر ذي الحجة أنواع:

* أداء الحج والعمرة في هذه الأيام من أفضل الأعمال؛ لقول النبي ﷺ: «**من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**». وفي لفظ مسلم: «**من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»[6]. وهذا لفظ يشمل الحج والعمرة ولله الحمد. وقال عليه الصلاة والسلام: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[7]. والمبرور هو الذي لا رياء فيه ولا سمعة، ولم يخالطه إثم ولم يعقبه معصية، وهو المقبول، ومن علامات القبول أن يرجع العبد خيراً مما كان ولا يعاود المعاصي.
* التكبير والذكر في هذه الأيام؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما السابق وفيه: «**فأكثروا فيهن: من التهليل، والتكبير، والتحميد**». وقال الإمام البخاري رحمه الله: «**وكان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبِّران ويُكبِّر الناس بتكبيرهما، ويكبِّر محمد بن علي خلف النافلة**»[8]. وقال رحمه الله: «وكان عمر رضي الله عنه يكبِّر في قُبَّته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبِّرون ويُكبِّر أهل الأسواق حتى ترتجُّ مِنى تكبيراً...»[9]. وصفة التكبير: «**الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد**»[10].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣.

(٢) البخاري مع الفتح (٨/ ٢٤٠)، ومسلم برقم (١٣٤٧).

(٣) أبو داود برقم (٩٤٥)، وصحح إسناده ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٥٥).

(٤) زاد المعاد (١/ ٥٥).

(٥) زاد المعاد (١/ ٥٥).

(٦) متفق عليه: البخاري مع الفتح (٤/ ٢٠)، ومسلم (٢/ ٩٨٤).

(٧) متفق عليه: البخاري برقم (١٧٧٣)، ومسلم برقم (١٣٤٩).

(٨) البخاري قبل الحديث رقم (٩٦٩).

(٩) البخاري قبل الحديث رقم (٩٧٠)، وهناك آثار أخرى يراجعها من شاء.

(١٠) ابن أبي شيبة (٢/ ١٦٨)، وصحح إسناده الألباني في إرواء الغليل (٣/ ١٢٥).

والتكبير نوعان:

النوع الأول: التكبير المطلق وهو الذي لا يقيد بأدبار الصلوات بل يشرع في كل وقت، وهو في عيد الفطر من غروب شمس آخر يوم من رمضان إلى أن يفرغ الإمام من الخطبة.

أما التكبير المطلق في العشر فهو من أول عشر ذي الحجة إلى آخر يوم من أيام التشريق في جميع الأوقات، في الليل والنهار، والطرق، والأسواق، والمساجد، والمنازل، وفي كل موضع يجوز فيه ذكر الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ ﴾(١). وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾(٢). قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**في أيام معلومات: أيام العشر، والأيام المعدودات: أيام التشريق**»(٣).

النوع الثاني: التكبير المقيد: وهو الذي يقيد بأدبار الصلوات في عيد الأضحى، وهو يبتدئ عقب صلاة الفجر يوم عرفة، وينتهي عقب صلاة العصر في اليوم الثالث من أيام التشريق؛ لما ثبت عن علي الخليفة الراشد، وعن ابن عباس، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم أنهم كانوا يكبِّرون من صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق(٤). وهذا في حقِّ غير الحاج، أما الحاج فيبدأ بالتكبير من رمي أول حصاة يوم النحر، ويبدأ بالتكبير أدبار الصلوات من صلاة الظهر في هذا اليوم؛ لأنهم كانوا مشغولين بالتلبية. وبهذا يُعلم أن التكبير المطلق ثلاثة عشر يوماً، والمقيَّد يجتمع مع المطلق في خمسة أيام، وهي: من فجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق.

* صيام الأيام التسعة أو ما تيسر منها؛ لقول النبي ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر**» والصيام من أعظم الأعمال الصالحة، وقد حث النبي ﷺ عليه ورغَّب فيه، ومن ذلك قوله ﷺ: «**ما من عبدٍ يصومُ يوماً في سبيل الله إلا باعَدَ الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً**»(٥). وروى النسائي مرفوعاً: «**كان يصوم تسعاً من ذي الحجة**»(٦). وصوم يوم عرفة لغير الحاج «**يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده**» رواه مسلم(٧).

---

(١) سورة الحج، الآية: ٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٣.

(٣) البخاري قبل الحديث رقم (٩٦٩)، بصيغة الجزم، وقال النووي في شرح المهذب (٨/ ٣٨٢): رواه البيهقي بإسناد صحيح.

(٤) ابن أبي شيبة (٢/ ٢٦٥، ٢٦٧)، والبيهقي (٣/ ٣١٤)، وصححه الألباني في الإرواء (٣/ ١٢٥)، وثبت عن عمر إلا أنه إلى صلاة الظهر من آخر أيام التشريق.

(٥) متفق عليه: البخاري برقم (٢٨٤٠)، ومسلم برقم (١١٥٣).

(٦) النسائي، وانظر: صحيح النسائي، للألباني (٢/ ٥٠٨).

(٧) مسلم برقم (١١٦٢) وتقدم.

* التوبة والإقلاع عن جميع المعاصي؛ لأن التوبة من أعظم الأعمال الصالحة.

* إذا دخل عشر ذي الحجة أمسك من أراد أن يضحي عن شعره، وبشرته؛ لحديث أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره**». وفي لفظ: «**... فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيئاً حتى يضحي**»(١).

* كثرة الأعمال الصالحة، من نوافل العبادات: كالصلاة والصدقة، والقراءة للقرآن الكريم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الجيران، وصلة الأرحام وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

* الحرص على أداء صلاة العيد والتبكير إليها، واستماع الخطبة؛ فإنها من أعظم شعائر الإسلام؛ ولعظم شأنها أُمِرَ بها النساء حتى الأبكار، فعن أمِّ عطية رضي الله عنها قالت: «**كُنَّا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى نخرج البكر من خدرها، حتى نخرج الحيض فيكن خلف الناس، فيكبِّرن بتكبيرهم ويدعون بدعائهم، ويرجون بركة ذلك اليوم وطهرته**». وفي لفظ: «**وأمر الحيض أن يعتزلن مصلى المسلمين**»(٢).

* وتشرع الأضحية في يوم النحر وأيام التشريق وهي سنة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين فدا الله ولده بذبح عظيم ﴿**وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾(٣). وقد ثبت أن النبي ﷺ «**ضحى بكبشين أملحين، أقرنين، ذبحهما بيده وسمَّى وكبَّر ووضع رجله على صفاحهما**»(٤). وقد قال الله تعالى: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ**﴾(٥).

عباد الله: اغتنموا هذه الأيام العظيمة قبل فوات الأوان؛ فإن من الناس من يحرم الخير فيها وليس له أياماً غيرها؛ لهجوم هاذم اللذات، فتتابع عليه الحسرات نعوذ بالله تعالى من الخذلان. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ**﴾(٦).

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) مسلم برقم (١٩٧٧).

(٢) البخاري برقم (٩٧١، ٩٨٠)، ومسلم برقم (٨٩٠).

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٠٧.

(٤) البخاري برقم (٥٥٥٣)، ومسلم برقم (١٩٦٦).

(٥) سورة الكوثر، الآية: ٢.

(٦) سورة الفجر، الآيات: ١ - ٥.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: إن الأعمال في هذه العشر المباركة أفضل وأعظم وأجلُّ من الجهاد في سبيل الله تعالى، إلا من خرج بجميع ما يملك في الدنيا وبنفسه التي بين جنبيه فقُتل ولم يرجع من ذلك بشيء.

فاغتنم يا عبدالله هذا الخير العظيم، وأكثر من التكبير والتهليل والتحميد، ومن الصيام والصدقة والإحسان، والذكر والدعاء، وقراءة القرآن بتدبر، وبادر بالحج إن لم تحج قبل أن يُحال بينك وبين هذه الخيرات.

وصلوا على خير خلق الله نبينا محمد بن عبدالله ﷺ، وعلى آله وأصحابه، ورضي الله عن خلفائه الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحابة أجمعين، وعنَّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمِّر أعدائك أعداء الدين، اللهم آمنَّا في أوطاننا، وأصلح ولاة أمورنا، وارزقهم البطانة الصالحة، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1]، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، واغفر لأمواتنا وأموات المسلمين برحمتك وكرمك يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين.

عباد الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2]، فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[3].

* * *

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل العشر الأواخر من رمضان وخصائصها

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فيا عبادَ الله: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1]. معاشر المؤمنين: اشكروا الله على نعمه التي لا تعدُّ ولا تحصى، ومن هذه النعم العظيمة أن بلَّغكم رمضان وقد حُرِمَ هذه النعمة كثير من الناس، ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[2]. ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]. ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[4]. وإن شكرتموه بأفعالكم وأقوالكم وقلوكم زادكم من فضله، وإحسانه، وتوفيقه، وامتنانه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾[5].

عباد الله: كُنَّا بالأمس القريب نستقبل رمضان بالبهجة والسرور، وقد أسرعت الأيام حتى ذهب أكثره وقد أحسن أُنَاسٌ في الأيام الماضية فصاموا النهار وقاموا الليل، وقرأوا القرآن، وتصدقوا وأحسنوا، وتركوا المعاصي والسيئات، فلهم الأجر العظيم، والثواب الكبير، وعليهم المزيد في الباقي من أيام رمضان المبارك، وقد أساء آخرون فأخلُّوا بالصيام، وتركوا القيام، وسهروا الليالي الطوال على قيل وقال، وإضاعة المال، ومنعٍ وهات، وهجروا القرآن، وبخلوا بأموالهم، لكن الله تعالى ذو الفضل العظيم والإحسان العميم، يقبل التوبة ويعفو عن السيئات لمن تاب وأناب، وقد جعل سبحانه العشر الأواخر من رمضان فرصة لمن أحسن في أول الشهر أن يزاد، ولمن أساء أن يستدرك ما فاته؛ ويغتنم هذه الأيام العشر في الطاعات وما يقربه من الله تعالى، والعشر الأواخر لها خصائص وفضائل منها:

* نزول القرآن في العشر الأواخر من رمضان، في ليلة القدر، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٨.

(٤) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٦) سورة القدر، الآية: ١.

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[1]. وهذا من أعظم فضائل العشر: أن الله أنزل هذا النور المبين فأخرج به من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى نور العلم والإيمان، وهذا القرآن العظيم شفاءٌ وهدىً ورحمةٌ للمؤمنين، وموعظة وشفاء لما في الصدور، ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[2].

* ومن خصائص هذه العشر الأواخر ليلة القدر والعبادة في هذه الليلة خير من العبادة في ألف شهر، فالعبادة فيها خير وأفضل من العبادة في ثلاث وثمانين سنة وما يقرب من أربعة أشهر، وهذا فضل عظيم لمن وفقه الله تعالى. قال عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[3].

وليلة القدر لها فضائل كثيرة، منها:

* **الفضيلة الأولى**: أن الله أنزل القرآن فيها الذي به هداية العباد وسعادتهم في الدنيا والآخرة ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ وقال عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾.
* **الفضيلة الثانية**: في هذه الليلة يفرق كل أمر حكيم، أي يُفصل من اللوح المحفوظ ما هو كائن في السنة: من الأرزاق، والآجال، والخير والشر.
* **الفضيلة الثالثة**: ما يدل عليه الاستفهام من التفخيم والتعظيم لهذه الليلة في قوله سبحانه: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾.
* **الفضيلة الرابعة**: أن هذه الليلة مباركة ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾.
* **الفضيلة الخامسة**: أن هذه الليلة خير من ألف شهر.
* **الفضيلة السادسة**: تتنزل الملائكة فيها، والروح وهو جبريل؛ لكثرة بركتها، وهم لا ينزلون إلا بالخير والبركة.
* **الفضيلة السابعة**: أن هذه الليلة سلام حتى مطلع الفجر؛ لكثرة السلامة فيها من العقاب، والعذاب، بما يقوم به العبد من طاعة الله عز وجل.

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٣) سورة القدر، الآيات: ١ – ٥.

* **الفضيلة الثامنة**: أن من قامها إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه[1].

* **الفضيلة التاسعة**: أن من أدركها واجتهد فيها ابتغاء مرضاة الله فقد أدرك الخير كله، ومن حرمها فقد حُرِم الخير كله، كما قال النبي ﷺ: «**أتاكم رمضان شهر مبارك، فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تُفتحُ فيه أبواب الجنة، وتُغلقُ فيه أبواب الجحيم، وتُغلُّ فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حُرِم**»[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل رمضان فقال رسول الله ﷺ: «**إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، من حُرِمَها فقد حُرِمَ الخير كله، ولا يحرَمُ خيرَها إلا محرومٌ**»[3].

* **الفضيلة العاشرة**: أن الله أنزل في فضلها سورة كاملة تُتلى إلى يوم القيامة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.

* ومن خصائص هذه العشر اجتهاد النبي ﷺ في قيامها، والأعمال الصالحة فيها اجتهاداً عظيماً، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان النبي ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله، وجدَّ وشدَّ المئزر**»[4]. ومعنى شد المئزر: أي شمر واجتهد في العبادات، وقيل: كناية عن اعتزال النساء. وعنها رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره»[5].

وهذا الإحياء شامل لجميع أنواع العبادات: من صلاة، وقرآنٍ، وذكرٍ، ودعاء، وصدقة، وغيرها، ومما يدل على فضل العشر: إيقاظ الأهل للصلاة والذكر، ومن الحرمان العظيم أن ترى كثيراً من الناس يُضيِّعون الأوقات في الأسواق، وغيرها، ويسهرون فإذا جاء وقت القيام ناموا، وهذه خسارة عظيمة، فعلى المسلم الصادق أن يجتهد في هذه العشر المباركة، فلعله لا يدركها مرة أخرى باختطاف هاذم اللذات، ولعله يجتهد فتصيبه نفحة من نفحات الله تعالى فيكون سعيداً في الدنيا والآخرة.

* ومن خصائص هذه العشر الاعتكاف فيها، وهو لزوم المسجد لطاعة الله تعالى، وهو ثابت بالكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾[6]. وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من

---

(١) البخاري برقم (٣٥)، ومسلم، برقم (٧٦٠).

(٢) النسائي برقم (٢١٠٨)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٢/ ٤٥٦).

(٣) ابن ماجه، برقم (١٦٤٤)، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٥٩): «حسن صحيح».

(٤) البخاري، برقم (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

(٥) مسلم، برقم (١١٧٥).

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

بعده[1]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذي قُبض فيه اعتكف عشرين يوماً**»[2]. وفي لفظ: «**كان يعرضُ على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قُبض فيه، وكان يعتكف في كل عام عشراً فاعتكف عشرين في العام الذي قُبض فيه**»[3]. وذكر ابن حجر رحمه الله أن المراد بالعشرين: العشر الأوسط والعشر الأخير[4]، ويدل على معناه حديث أبي سعيد رضي الله عنه في صحيح مسلم[5].

وكان رسول الله ﷺ يعتكف في العشر الأوسط من رمضان، فاعتكف عاماً حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين قال: «**من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر فقد رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها... فالتمسوها في العشر الأواخر والتمسوها في كل وتر**»[6]. وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه: **أن النبي ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط، ثم قال ﷺ: «إني أعتكف العشر الأول ألتمس هذه الليلة، ثم اعتكفت العشر الأوسط، ثم أتيت فقيل لي: إنها في العشر الأواخر، فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف» فاعتكف الناس معه، قال: «وإني أُريتُها ليلة وترٍ...»** [7]. **وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجودُ الناس بالخير، وكان يلقاه في كل ليلةٍ في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرضُ عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة»**[8].

والمقصود بالاعتكاف انقطاع الإنسان عن الناس ليتفرغ لطاعة الله تعالى في مسجد من مساجد الله طلباً لفضل ثواب الاعتكاف من الله تعالى، وطلباً لإدراك ليلة القدر، وله الخروج من معتكفه فيما لا بد منه: كقضاء الحاجة، والأكل والشرب إذا لم يُمكن ذلك في المسجد.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[9].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) البخاري برقم (٢٠٢٦)، ومسلم برقم ٢٠٤٤).

(٢) البخاري برقم (٢٠٤٤).

(٣) البخاري برقم (٤٩٩٨).

(٤) فتح الباري (٩/ ٤٦).

(٥) مسلم برقم ٢١٥ (١١٦٧)، والبخاري ٢٠١٨.

(٦) البخاري برقم (٢٠٢٧).

(٧) مسلم برقم ٢١٥ (١١٦٧) والبخاري برقم ٢٠١٨.

(٨) البخاري برقم (٤٩٩٧)، ومسلم برقم (٢٣٠٨).

(٩) سورة القدر، الآيات: ١ – ٥.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

عباد الله: اجتهدوا في طاعة الله تعالى وخصُّوا هذه العشر المباركة بمزيد من الاجتهاد طلباً للثواب ومضاعفة الأجر في هذه الليالي، وطلباً لليلة القدر التي اختصت بها العشر الأواخر من رمضان كما قال النبي ﷺ: «**إني أُريت ليلة القدر ثم أُنسيتها – أو نُسِّيتها – فالتمسوها في العشر الأواخر في الوتر**»(١). وفي حديث عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «**تحرُّوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان**»(٢). فليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان يقيناً لا شك فيه،وهي في الأوتار أقرب؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر: في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى**»، وفي لفظ: «**هي في العشر الأواخر في تسع يمضين أو في سبع يبقين**»(٣). وقد تكون في الأشفاع؛ فإنه جاء في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**التمسوها في أربع وعشرين**»(٤) وقد كان النبي ﷺ يجتهد في هذه العشر ما لا يجتهد في غيره، وكان الصحابة رضي الله عنهم يجتهدون اجتهاداً عظيماً، قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أيّ ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «**قولي: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعفو عني**»(٥). فعلى العبد الصادق أن يجتهد في جميع ليالي العشر ويحصل عليها يقيناً لا شك فيه، وقد أخفى الله ليلة القدر رحمة بعباده؛ لأمور منها: زيادة حسناتهم إذا اجتهدوا في العبادة بأنواعها في هذه الليالي، واختباراً لعباده؛ ليتبين الصادق في طلبها من غيره؛ فإن من حرص على شيء جد في طلبه. هذا وصلوا على خير خلق الله نبينا محمد بن عبدالله ﷺ، ورضي عن أصحابه: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر أصحابه أجمعين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اللهم وفقنا لقيام ليلة القدر إيماناً واحتساباً ياذا الجلال والإكرام، اللهم إنك عفو تحب الحب فاعفو عنا.

عباد الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾(٦). فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾(٧).

---

(١) البخاري، برقم (٢٠١٦).

(٢) البخاري برقم (٢٠٢٠).

(٣) البخاري برقم ٢٠٢١ ورقم ٢٠٢٢.

(٤) البخاري برقم (٢٠٢٢).

(٥) الترمذي برقم (٣٥١٣) وغيره من الخمسة، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/ ٤٤٦).

(٦) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٧) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

فضائل الصيام وفوائده وحِكَمِه وأحكامه وآدابه

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخليله، وخيرته من خلقه، صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكلّ ضلالة في النار.

عباد الله: اتقوا الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1].

واشكروا الله على ما مَنَّ به عليكم من أن بلَّغكم رمضان المبارك؛ فإن إدراكه من أعظم النعم (وما بكم من نعمة فمن الله)[2]. ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[3].

عباد الله: اجتهدوا في شهركم هذا؛ فإنكم لا تدرون لعله لا يدرككم مرة أخرى، فإن الآجال، والأعمار بيد الله تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[4].

أيها المسلمون: اعلموا رحمكم الله وجعلكم مباركين أينما كنتم أنَّ فضائل الصيام وفوائده كثيرة لا تحصى، ومنها:

* الصيام سبب من أسباب التقوى، كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[5].

* و« **الصوم جُنَّة يَستجن بها العبد من النار** »[6]. ومعنى جُنَّة من النار: أي وقاية من النار.

* والصوم يُباعد الله النار عن وجه صاحبه: « **من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين**

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٨.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٦) أحمد (٣/ ٢٤١ و٢٩٦، ٤/ ٢٢)، وانظر: صحيح الجامع ٣٨٧٦.

خريفاً»[1]. فإذا كان صوم يوم واحد بهذه الأفضلية والمنزلة فما بالك بصيام شهر كامل أو صيام ثلاثة أيام من كل شهر نافلة أو غير ذلك من الصيام المشروع.

* والصوم وقاية من الشَّهوات: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[2].

* والصوم لا مثل له ولا عدل فقد أوصى به النبي ﷺ، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله مرني بأمر ينفعني الله به، قال: «**عليك بالصوم؛ فإنه لا مثل له**» وفي لفظ: «**فإنه لا عِدلَ له**»[3].

* والصوم يُدخل الجنة من باب الريان؛ لحديث سهل بن سعد رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ: «**إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يُقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحد**»[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبدالله هذا خيرٌ، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة**». قال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال: «**نعم وأرجو أن تكون منهم**»[5].

* والصيام كفَّارة للذنوب، فعن حذيفة رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ: «**فتنة الرجل في أهله، وماله، وجاره تُكفِّرها: الصلاة، والصيام والصدقة**»[6].

* والصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، فعن عبدالله بن عمرو يرفعه: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربِّ منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه**» قال: «**فيشفعان**»[7].

---

(١) البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).

(٢) البخاري، (٥٠٦٥، ٥٠٦٦)، ومسلم برقم (١٤٠٠).

(٣) النسائي برقم (٢٢٢٢ – ٢٢٢٥) وصححه الألباني في صحيح النسائي (٢/ ٤٧٦).

(٤) البخاري برقم (١٨٩٦)، ومسلم برقم ١١٥٢.

(٥) البخاري برقم (١٨٩٧).

(٦) البخاري برقم ١٤٤) وغيره.

(٧) أحمد (٢/ ١٧٤)، والحاكم (١/ ٥٥٤).

* ويُوفَّى **الصائمون** أجرهم بغير حساب.

* والصوم سبب للسعادة في الدنيا والآخرة؛ فإن الصائم له فرحتان.

* **وخَلوف** فَمِ الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وقد دلَّ على هذه المسائل الثلاث حديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: «**كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم؛ فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته، وطعامه [وشرابه] من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»(١).

* والصائم دعوته لا تُرد؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا تردُّ دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم**»(٢).

* وتفطير **الصائمين** فيه الأجر العظيم؛ لحديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن فطَّر صائماً كان له مثلُ أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً**»(٣).

وغير ذلك من فضائل الصيام التي لا تعد ولا تُحصى.

أما خصائص شهر رمضان المبارك فهو الشهر الذي أنزل الله فيه القرآن، وتُفتَّح فيه أبواب الجنة، وأبواب السماء، وأبواب الرحمة، وتُغلق فيه أبواب النار، وتُصفَّد فيه الشياطين ومَرَدة الجن، وينادى فيه يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار في كل ليلة، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حُرم الخير كله، وهو من المحرومين، وتجاب فيه الدعوات، وهو شهر الذكر والدعاء، وشهر الصبر، وتُغفر فيه جميع الذنوب،وتُرفع به الدرجات في الجنة، وتُكفَّر به السيئات، ومن قامه إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه، وهو الشهر الذي يُدارِس فيه جبريل النبي ﷺ القرآن، وهو الشهر الذي يكون فيه النبي ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة، فاجتهد يا عبدالله لهذا الخير العظيم، فلعله لا يكون لك شهر غيره بانتقالك إلى الدار الآخرة. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(٤). بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المؤمنين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) البخاري بنحوه برقم (١٨٩٤)، ومسلم بلفظه برقم (١١٥١).

(٢) ابن ماجه برقم (١٧٥٢)، والترمذي برقم (٣٥٩٨)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٨٦)، وأما حديث «إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد» فرواه ابن ماجه برقم (١٧٥٣) وضعفه الألباني في الإرواء برقم (٩٢١) فيراجع الحديث.

(٣) الترمذي برقم (٨٠٧)، وابن ماجه برقم (١٧٤٦) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١/ ٤٢٤).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فيا عباد الله إن الصوم له فضائل عظيمة وفوائد كثيرة لا تُحصر في مثل هذا المقام، ومن فوائده وثمراته: أن يتبيَّن من كان عابداً لمولاه ومن كان مُتَّبِعاً لهواه، والصيام عبادة لله عز وجل يتقرّب بها العبدُ إلى الله فيظهر بذلك صدق إيمانه وتقواه؛ ولذلك كان كثيرٌ من المؤمنين لو ضُرب أو حُبس على أن يُفطِر يوماً من رمضان بدون عذر شرعي لم يفطر، وهذه الحكمة من أبلغ حِكَمِ الصيام، والصيام سبب للتقوى؛ فإن الصائم مأمور بفعل الطاعات، واجتناب المعاصي كما قال ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به، والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»(١)، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «...**وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث** [أي لا يعمل الفحش من الكلام وغيره] **ولا يصخب**». وفي لفظ: «**ولا يجهل** [أي لا يفعل شيئاً من أفعال أهل الجهل: كالصياح والسَّفه] **فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، إني امرؤ صائم...**»(٢).

والصوم يجعل القلب يتخلَّى للذِّكر والفكر؛ لأن تناول الشهوات يوجب الغفلة، ورُبَّما يُقسِّي القلب ويُعمي عن الحق، والصوم به يعرِفُ الغنيُّ قَدْرَ نِعَمِ الله عليه وقد حُرِمَها كثيرٌ من الخلق، والصوم سبب في التمرُّن على ضبط النفس والسيطرة عليها، والصوم يَكْسِرُ النفس ويحدُّ من كبريائها، ويُضيِّق مجاري الدم بسبب الجوع والعطش فتضيق مجاري الشيطان؛ لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، ومن ذلك ما يترتب على الصيام من الفوائد الصِّحيَّة التي تحصل بسبب تقليل الطعام وإراحة جهاز الهضم.

والصوم ركن من أركان الإسلام لا يتم إسلام العبد إلا به، وله أركان، وشروط، ومفسدات، وآداب لا بد للمسلم العمل بها:

فأركانه: الإمساك عن جميع المفطِّرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، والنية من الليل: «**من لم يُبيِّت الصيام قبل الفجر فلا صيام له**»(٣). والنية محلها القلب والتلفظ بها بدعة.

وأما شروط وجوب الصيام فستة: يجب الصيام على كل مسلم، عاقل، بالغ، قادر، مقيم، سالم من الموانع: وهي الحيض والنفاس للنساء، ولكن ينبغي أن يُؤمر الصبيان بالصيام ويُشَجَّعوا عليه؛ لفعل الصحابة رضي الله عنهم؛ حتى يعتاد الصبي ذلك ويتدرب عليه.

أما مفسدات الصوم التي يفطر بفعلها الصائم فسبعة: الجماع في نهار رمضان، وإخراج المني باختياره، والأكل والشرب متعمداً، وما يقوم مقام الأكل والشرب كالإبر المغذية، وإخراج الدم

---

(١) البخاري برقم (٦٠٥٧)، وأبو داود بلفظ برقم (٢٣٦٢).

(٢) البخاري برقم (١٨٩٤ و١٩٠٤).

(٣) أحمد (٦/ ٢٨٧)، وأبو داود برقم (٢٤٥٤) وغيرهما من الخمسة وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٨٢).

بالحجامة، والتقيؤ عمداً بإخراج ما في المعدة عن طريق الفم، وخروج دم الحيض والنفاس، وقد جاء العقاب الأليم لمن أفطر يوماً متعمداً بغير عذر، ففي حديث أبي أمامة رضي الله عنه يرفعه: « ...**قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: عُواء أهل النار، ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم معلقين بعارقيبهم، مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دماً، قال: قلت: ما هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم**»(١).

ويباح الفطر في رمضان لخمسة: المريض، والمسافر، والعاجز عن الصيام: كالشيخ الهرم أو العجوز الهرمة، ومن احتاج إلى إنقاذ معصوم إذا لم يُمكن إنقاذه إلا بالإفطار، والحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما الضرر، وكل هؤلاء يقضون الصيام إلا العاجز بمرض لا يرجى برؤه أو الهرم فيطعمان عن كل يوم مسكيناً ولا قضاء عليهما؛ لعجزهما، والصيام له آداب مستحبة، منها: أكلة السحور والأفضل تأخيره إلى قبيل طلوع الفجر، وتعجيل الإفطار بعد غروب الشمس، والإفطار على رُطبات، أو تمرات، أو حسواتٍ من ماء، ومن الآداب: كثرة القراءة، والدعاء والذكر، وأنواع البر، وأعظم الذكر قراءة القرآن بالتدبر، والإكثار من تلاوته، فإن من أحب الله أكثر من تلاوة كتابه، ومن طهر قلبه لم يشبع من قراءة كلام الله تعالى، ومن أحب القرآن فهو يحبه سبحانه. واستحضار الصائم نعمة الله عليه، وأن الله وفَّقه لهذا الصيام وقد حُرِمَهُ كثيرٌ من الناس. وهناك أخطاء يقع فيها كثير من الناس في رمضان، منها: عدم الفقه لأحكام الصيام، والكثير من الناس يسهرون الليل على غير طاعة الله تعالى، وترك صلاة التراويح والتكاسل عنها، أو الانصراف قبل إكمالها مع الإمام؛ فإن من لازم الإمام حتى ينصرف كُتِبَ له قيام ليلة، وقد شرع رسول الله ﷺ صلاة التراويح بقوله، وفعله، وهي تُصلَّى إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة، وهذا هو الأفضل، فإن صلى أكثر من ذلك فلا حرج؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: « **صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى**»(٢). فلو صلى عشرين ركعة وأوتر بثلاث فلا حرج، أو صلى ستّاً وثلاثين وأوتر بثلاث فلا حرج، أو صلى إحدى وأربعين فلا بأس، ولكن الأفضل ثلاث عشرة ركعة أو إحدى عشرة ركعة(٣). ومن الأخطاء الإسراف والتبذير في الطعام والشراب واللباس، قال الله تعالى: ﴿ **وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ** ﴾(٤). وقال سبحانه: ﴿ **وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا** ﴾(٥).

عباد الله: اتَّقوا الله واجْتهدوا، وأحسنوا النية، فكم من أُناسٍ صاموا معكم رمضان الماضي وهم

---

(١) ابن خزيمة والحاكم (١/ ٤٣٠)، و(٢/ ٢٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٥٨٨).

(٢) البخاري برقم (٩٩٠)، ومسلم برقم (٧٤٩).

(٣) المغني لابن قدامة (٢/ ٦٠٤)، وفتاوى ابن تيمية (٢٣/ ١١٢)، وسبل السلام للصنعاني (٣/ ٢٠).

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٥) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

الآن من أصحاب القبور، وكم من أناس لا يكملون رمضان يهجم عليهم الأجل قبل إتمامه.

هذا وصلوا على خير الخلق نبينا محمد بن عبدالله ﷺ، ورضي الله عن أصحابه: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وانصر عبادك المخلصين، اللهم آمنا في دورنا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، وهيئ لهم البطانة الصالحة برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم تقبَّل صيامنا وقيامنا، واغفر لنا ذنوبنا يا غفور يا رحيم، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، واغفر لأمواتنا وأموات المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

عباد الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1] . فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.